

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي ، برج بوعريريج



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

محاضرات في مقياس: النقد السيميائي

السنة الثالثة: دراسات نقدية

إعداد الدكتور: عيسى بربار

السنة الجامعية: 2017-2018

## مقدمة:

لقد كان لظهور كتاب " محاضرات في الألسنية العامة " لأبي اللسانيات الحديثة "فرديناد دي سوسير" صدى كبيرا في الساحة النقدية والأدبية ، الغربية والعربية، فمنذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين وفي الفترة الممتدة من 1916م إلى 1957م سعت اتجاهات ومدارس لغوية أوروبية إلى تبني الفكر السوسيري، وقد بدأ هذا جليا وواضحا في تطبيقاتها وذلك حينما تبنت جملة من المفاهيم والتصورات، وكانت سببا في صياغة المشروع البنيوي، وعلى رأس هذه التيارات المدرسة الشكلانية، والجلوسيماتيكية ومدرستي "براغ" ولندن وأعلام النظرية التوليدية التحويلية، وما يجمع بين هذه الاتجاهات والمدارس في إجراءاتها وتطبيقاتها هو انطلاقها من النص دون غيره، عدا النظرية التوليدية التحويلية فقد استقت بعض معارفها من الفلسفة، ومن بين هذه الاتجاهات ظهرت نظرية شقت طريقها النقدي بوضوح استنادا إلى أسس بنيوية وهي النظرية السيميائية، فكانت منهجا ونقدا يستحق أن يتبع ويتبنى في تحليل النصوص.<sup>1</sup>

وفي "أمريكا" ظهر تيار آخر أكثر غزارة وعمقا في دراسة العلامات، ومثله العالم والفيلسوف الأمريكي "شارل ساندرس بيرس"، حيث يرى أنّ السيميوطيقا نشاط معرفي شامل تهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية، وإنّ خلفياته المعرفية والفلسفية جعلت من دراسته للعلامة تختلف عمّا قدمه "دي سوسير" في تقسيمه للعلامة، فهي عنده تشتغل باعتبارها بناء ثلاثيا يشتمل على أول (الماثول)، يحيل على ثان (الموضوع) عبر ثالث (المؤول).

لقد فرضت النظرية السيميائية وجودها في مجالات كثيرة أدبية وفنية وثقافية، باعتبار أنّ النصوص مهما كان نوعها فإنّ أصحابها ينتمون إلى مجتمعات لها خصوصيتها الاجتماعية

(<sup>1</sup>) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر 2010، ص54.

والثقافية والاقتصادية والأيدولوجية، ولما كان النصّ الأدبي بكل بساطة عبارة عن علامة فإنّ السيميائية تأتي لتتكفل بدراسة أنظمة علاماته، فتحاول أن تتعرف على كنهها وعلتها وكيونتها وعلاقتها بغيرها من العلامات، فهي إذاك تهتم بالنص في حدّ ذاته بغضّ النظر عن كل المؤثرات الخارجية.<sup>1</sup>

والطريقة التي يعمدها المنهج السيميائي في تحليل النصوص تستند إلى عمليتي التفكيك والتركيب، وهي طريقة تحليلية تنطلق من كون النص عبارة عن شبكة مشفرة يقوم الناقد بفكها آخذا بعين الاعتبار الأسس والمبادئ كشروط للتحليل وهي: التحليل المحايث والتحليل البنيوي وتحليل الخطاب وهذا الأخير تتجاوز فيه السيميائيات دراسة الجملة . والملاحظ في الدراسات السيميائية يجد أن هذه النظرية ابتكرت مناهج متنوعة لتحليل كل نوع أدبي على حدة، فوجدت سيميائيات الشعر، سيميائيات القصة أو الرواية وأخرى للمسرحية كما أقحمت مجالات أخرى كالصورة والإشهار لقسمي اللفظ وغير اللفظ والصورة المتحركة (السينما، الفيلم) أو السمعي البصري. والقاسم المشترك بين هذه الإتجاهات السيميائية هو دراسة العلامة اللغوية وغير اللغوية.

---

(<sup>1</sup>) ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص:60

## المحاضرة الأولى:

### السيمياء المصطلح والمفهوم (1)

(عند المحدثين)

عرّف أبو اللسانيات الحديثة "فرديناند دي سوسير" (1913) اللغة بأنها منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما، وأنها تشبهها في نظامها منظومات أخرى مثل أبجدية الصم والبكم، والطقوس الرمزية وضروب المجاملة والإشارات العسكرية وغيرها، إلا أنه يرى أن المنظومة اللغوية أهم هذه المنظومات على الإطلاق.<sup>1</sup>

وعرّف العلامة اللغوية على أنها دال ومدلول، منطوق ومفهوم، ثم دعا إلى علم يدرس نظام هذه المعلومات، ويضبط القوانين التي تنظمها سمّاها السيميائية (Sémiologie) أي علم العلامات،<sup>2</sup> غير أنه لم يحدد هذه القوانين، ولم يتنبأ بمستقبل هذا العلم بعده فقال: "ولكون خلقها لم يتم بعد فإنه يعز علينا أن نعرف ما ستؤول إليه".<sup>3</sup>

وحيثما كان الدرس السيميائي في بداياته في أوروبا، ظهر تيار آخر أكثر غزارة وعمقا، وهو تيار مثله "بيرس" (1839م-1924م)، ويختلف في رؤيته الشمولية للعلامة عن "دي سوسير" في أنه وسع مجالها الإجرائي لتشمل ظواهر مختلفة من الحياة الإنسانية، وبذلك يكون قد أسس علما مستقلا يتخذ العلامات موضوعا سواء أكانت تلك العلامات لسانية أم غير لسانية وهذا العلم هو "السيميوطيقا" (Sémiotique).<sup>4</sup>

(1) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1966، ص: 27

(2) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص: 87

(3) المرجع نفسه، ص: 27

(4) ينظر: أحمد حساني، العلامة في التراث، مجلة تجليات الحداثة، كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، السانيا سابقا، 1993، ص: 29

ولقد سعى السيميائيون الغربيون إلى تحديد الفرق بين مفهومين يبدوان مختلفين من الناحية اللفظية، وهما "السيمولوجيا" (Sémiologie) و"السيميوتيكا" (Sémiotique)، فهل هما بمعنى واحد على الرغم من اختلاف لفظيهما؟ وإذن فلماذا هذه الإزدواجية المصطلحائية؟

### 1. إشكالية ازدواجية المصطلح:

قبل أن نتطرق إلى عرض آراء المنظرين السيميائيين حول هذه الإشكالية، يجب أن نلاحظ أنّ الإطلاقين يتحدان معا في القسم الأول منها؛ حيث أن كلا منهما يتبدى بـ: "Sémio" وهو آت من اللغة الإغريقية (Semio)، فتكوينها الكلمة آتية من الأصل اليوناني (SE) الذي نجده مستعملا في كلمات من مثل Sociologie "علم الاجتماع، Thèologie و "علم الأديان"، و Biologie "علم الأحياء" ...<sup>1</sup> ويعني "السمة" (signe)، ثم يفترقان في آن أحدهما ينتهي بمقطع (logie) الذي هو أصلا (lagos) وتعني "العلم"،<sup>2</sup> أو الخطاب، على حين أن أحدهما الآخر ينتهي بمقطع (tique) الذي يعني النسبة الديدانتيكية. إذن هل المصطلحان يعينان شيئا واحدا، أو يعينان شيئين مختلفين؟

### أ. جـيرداس غريماس: (A. Grimas)

سئل "غريماس" سنة أربع وسبعين من القرن الماضي عن سرّ التسمية المزدوجة، أجاب بأن مثل هذا هو من صميم الخصومات العقيمة، وذكر أنّه وقع الاتفاق سنة ثمان وستين وتسعمائة وألف بين "ياكسون" و"شتراس" و"بنفنيست" و"بارت" على اصطناع مصطلح "السيمائية" (Sémiotique)، بيّد أن مصطلح (Sémiologie) بحكم تغلغله في الثقافة الأوروبية لم يكن من اليسر نسيانه وإذن إبعاده من الاستعمال.<sup>3</sup>

لكنّ "غريماس" يتراجع عن ذلك إجماع بعد ذلك، حيث نجده يميل إلى أنّ المصطلحين الإثنين كأنهما يعينان شيئين مختلفين، فيرى أنّ المصطلح (Sémiotique)

(1) برنار توسان، ما هي السيمولوجيا، ترجمة: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، (ط2)، بيروت، لبنان، 1994، ص:09

(2) المرجع نفسه، ص:09

(3) Greimas, le monde, Paris du 7 juin 1974 en sémiotique ecole de paris, p:128

باستعماله في حال الجمع يعني البحوث المتعلقة بالحقول الخاصة مثل الأدب، والسينما، والإشارية وهلم جرا، على حين أنّ مصطلح (Sémiologie) "السيمولوجيا" يتمخض حينئذٍ للنظرية العامة بكل السيميائيات.<sup>1</sup> وبهذا الرأي يكون "غريماس" ربما قد وضع الحل لإشكالية ازدواجية المصطلح.

**جوليا كريستيفا (J. Kristeva):**

تجعل "كريستيفا" المصطلحين الاثنين شيئاً واحداً، و ذلك حين تفتتح مقالتها القائلة: "تسعى السيمولوجيا أو السيميوتيكيا (...) اليوم إلى أن تبني على أساس أنّها علم المعاني.<sup>2</sup> ويستخلص "عبد المالك مرتاض" جملة من الملاحظات حول هذه الإشكالية:

1. السيميوتيكيا تعالج خصوصيات الحقل بمثابة اللغة من اللسان أو الفرع من الأصل.
2. ترتبط السيميوتيكيا أساساً بالثقافة الأنجلوأمريكية ("لوك" و"بيرس" خصوصاً)، بينما يرتبط مفهوم السيمولوجيا بالثقافة الفرنسية ("غريماس" و"بارث")، على الرغم من أنّ "غريماس" عنون معجمه السيميائي بـ "السيميوتيكيا".
3. إنّ مصطلح السيميوتيكيا أقدم وجود وأعرق ميلادا من مصطلح السيمولوجيا الذي لم يتداوله "دي سوسير" إلا زهاء 1910.
4. إنّ مفهوم السيمولوجيا يرتبط أساساً بعلم اللغة، باللسانيات، بينما يرتبط مفهوم السيميوتيكيا بالفلسفة والمنطق.
5. ابتدأت السيميائية بداية فلسفية، ثم لغوية خالصة، ثم تشعبت إلى أدبية مع احتفاظها بوضعها اللسانياتي.

أمّا في الساحة النقدية العربية الحديثة، فإنّ المصطلح قد شهد اضطرابات عند ترجمته، فانقسم النقاد إلى ثلاثة اتجاهات، ويؤكد "صلاح فضل" ذلك فيقول: "النقاد والباحثون العرب فهم

(<sup>1</sup>) ينظر: عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية، مجلة الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة السانبا سابقاً، وهران، العدد الثاني، 1993، ص: 16.

(<sup>2</sup>) المرجع نفسه، ص: 16.

يتوزعون على ثلاثة اتجاهات بعضهم يُؤثر مصطلح السيميولوجيا، وله مبرراته في ذلك لمحاولة القرب من مصادر الفكر النقدي الحديث لصناعة مصطلحاته طبقا للتقاليد العربية القديمة... ومنهم من يعتمد على المصادر الأنجلوسكسونية، فيفضّل كلمة السيميوطيقا... أمّا الاتجاه الثالث فهو يبحث في التراث العربي ذاته على الكلمات المناظرة، والتي يمكن أن تؤدي بشكل تقريبي الدلالة اللغوية المطلوبة في العلم الحديث".<sup>1</sup>

وقد سجّلت الساحة النقدية العربية أكثر من عشرين مصطلحا عربيا مقابلا لمصطلح السيميائية، فشابت الدراسات العربية ضبابية مصطلحية، وفي هذا الصدد يقول "عبد المالك مرتاض": "فإنّ السيميائيين العرب حينما جاءوا إلى إدراج هذا المعنى ضمن ما يفيد معادلا دلاليا للمصطلح الأجنبي حاروا وماروا، والتبس الأمر عليهم، فإذا منهم من يصطنع السمة وإذا منهم من يصطنع "العلامة"، بل إنا ألفينا منهم من يستعمل الدليل وهذا الاستعمال الأخير مزعج إلى حد الإيذاء، ومخيّر إلى درجة الضلال ولعلّه أن يكون ضربا من ضروب العبث".<sup>2</sup> للعلم أنّ "عبد المالك مرتاض" يؤثر مصطلح السيميائية بإضافة "يا" النزعة (أو الياء الصناعية)، أمّا "صلاح فضل" فقد آثر مصطلح السيميولوجيا، واستطاع الباحث الجزائري "يوسف وغليسي" حصر التراكم المصطلحي للدلالة على مفهوم واحد هو (Sémiotique).

(1) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، 2002، ص: 122

(2) عبد المالك مرتاض، بين السمة والسيميائية، ص: 10

المقابل العربي	اسم المترجم	المرجع
سيمولوجيا	صلاح فضل	نظرية البنائية: 445 شطرات النص: 06 مناهج النقد المعاصر: 115
سيمولوجية	عبد الله الغدامي محمد عناني سعيد علوش عبد العزيز حمودة محمد نظيف محمد عزام	الخطيئة والتكفير: 12 المصطلحات الأدبية الحديث: 153 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: 71 المرايا المحدية: 227 ترجمة كتاب "ما هي السيمولوجيا" لـ "برنار توسان" الأسلوبية منهجا نقديا: 114
سامولوجيا	محمود السعران	أورده الحمزاوي في المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية: 262
سيمياء	انطوان أبي زيد بسام بركة إميل يعقوب وآخرون لطيف زتوتي	ترجمة كتاب "السيمياء" لـ "بيار غيرو" 1984 معجم اللسانيات: 186 قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية معجم المصطلحات نقد الرواية: 209



علم السمياء	عبد الرحمن الحاج صالح وآخرون	المعجم الموحد لمصطلح اللسانيات: 129
السيمائية	خلدون الشمعة	المنهج والمصطلح: 151
السيمائية	جوزيف. م شريم	دليل الدراسات الأسلوبية: 161
السيمائيات	مبارك حنون	دروس في السيميائيات الدار البيضاء، 1987
علم الرموز	علي القاسمي وآخرون	معجم المصطلحات علم اللغة الحديث: 82 علم الدلالة العربي: 08
علم العلامات	مجدي وهبة سمير حجازي عبد السلام المسدي عز الدين اسماعيل عدنان بن ذريل	معجم المصطلحات اللسانية: 262 قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر: 82 الأسلوبية والأسلوب: 182 ترجمة "نظرية التلقي لروبرت هولب": 372 اللغة والأسلوب: 113، 78
علم الإشارات	ميشال زكريا	الألسنية: 291
الأعراضية	يوسف غازي، مجيد نصر	ترجمة "محاضرات في الألسنية العامة" لـ "دي سوسير".

مصطلح "Sémiotique":

المقابل العربي	اسم المترجم	المرجع
سيمائية	المسدي فاضل ثامر قاسم مقداد سعيد علوش رشيد بن مالك حسين خمري	قاموس اللسانيات: 186 اللغة الثنائية: 15,07 سيمائية النص الأدبي: 39 معجم المصطلحات: 69 قاموس مصطلحات التحليل السيمائي: 417 نظرية النص في النقد المعاصر "أطروحة دكتوراه مخطوطة": 96
سيمائية	عبد المالك مرتاض	التحليل السيميائي للخطاب الشعري: 08
سيمائيات	سعيد بنكراد فريد الزاهي محمد مفتاح	ترجمة كتاب "التأويل بين السيميائيات التفكيكية" لإيكو ترجمة "علم النص" لـ "كريستيفا": 15, 19, 20, 70, 71 تحليل الخطاب الشعري
سيميات	سعيد بنكراد	نقلا عن المصطلح النقدي للمسدي: 109
علم السمياء	الحاج صالح وآخرون عادل فاخوري	المعجم الموحد: 129 علم الدلالة عند العرب
علم الرموز	بسام بركة مبارك مبارك	معجم اللسانية: 186 معجم المصطلحات الألسنية: 262

علم الدلالة	محمد الناصر العجيمي سامي سويدان	في الخطاب السردى، ص: 21 في دلالية القصص: 11، 15، 17، 68
علم الدلالات	محمد عزام	الأسلوبية منهاجاً نقدياً: 29
علم السيميولوجيا	صلاح فضل	بلاغة الخطاب وعلم النص: 22
العلامية	المسدي	الأسلوبية والأسلوب
علم العلامات	مجدي وهبة	معجم مصطلحات الأدب: 507
السيميوطيقا	محمد عناني محمد مفتاح نصر حامد أبو زيد جميل حمداوي	المصطلحات الأدبية الحديثة تحليل الخطاب الشعري: 10 إشكالية القراءة وآليات التأويل: 56، 66 ، 185 عالم الفكر الكويت، م 25، ع 3، يناير، مارس، 1997، ص: 79
السيماطيقا	سمير حجازي	قاموس المصطلحات النقد الأدبي المعاصر: 90
نظرية الإشارة	سمير كرم	ترجمة الموسوعة الفلسفية، ص: 33، 5
الإشارية	عبد المالك مرتاض	النص الأدبي من أين وإلى أين

## تعريف السيميولوجيا:

### 1. عند الغرب:

يفضل الأوروبيون مفردة "السيميولوجيا" التزاماً منهم بالتسمية السوسيرية، أما الأمريكيون فيفضلون "السيميوطيقا" التي جاء بها المفكر والفيلسوف الأمريكي "بيرس".  
والسيميولوجيا يفسرها "دي سوسير" حينما يقول: "اللغة نظام من العلامات التي تعبّر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام أو الطقوس الرمزية، أو الصيغ المهدبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة (...)", ويمكننا أن نتصور علماً موضوعه دراسة

حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسأطلق عليه علم العلامات".<sup>1</sup>

والظاهر من قول "دي سوسير" أنه حصر دراسات العلامات في دلالاتها الاجتماعية، أما "بيرس" فيجعل السيميولوجيا تدرس العلامات العامة في إطارها المنطقي، فنجده يقول: "ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية نسبية ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات. والسيميولوجيا هي: "العلم الذي يدرس العلامات، وبهذا عرفها كل من "تودوروف"، "غريماس" و"جولي كريستيفا" و"جون دييوا"، و"جوزيف راف ديوف".<sup>2</sup>

ويعرفها "بيير غيرو" فيقول: "هي العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات: اللغات، أنظمة الإشارات، التعليمات (...). وهذا التحديد، يجعل اللغة جزءا من السيمياء...".<sup>3</sup> في حين ذهب "أمبرتو إيكو" إلى تمييزها بأنها "علم يدرس سائر ظواهر الثقافة، بوصفها أنظمة للعلامات... وهي في جوهرها اتصال".<sup>\*</sup>

وترى "جولي كريستيفا" أن دور السيميائيات هو بناء نظرية عامة عن أنظمة الابلاغ.<sup>4</sup> ويعرفها "لويس بريتو" فيقول: "علم يبحث في أنظمة العلامات سواء كان مصدرها لغويا أم سنتيا أم مؤشريا".<sup>5</sup>

أما حدّها عند "غريماس" فهي "علم جديد مستقل تماما عن الأسلاف البعيدين وهو العلوم الأمهات ذات الجذور الحضارية في القدم، فهي علم جديد وهي مرتبطة أساس بـ"سوسير" وكذلك "بيرس".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> فدريناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص: 27

<sup>2</sup> ينظر: عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرقة للنشر والتوزيع، المينا، مصر، 2003، ص: 18

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 65

\* سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، مدخل إلى السيميوطيقا أنظمة العلامات في اللغة والأدب والفكر، دار إلياس العصرية، مصر، (ط1)، 1987، ص: 09

<sup>4</sup> ينظر: فيصل الأحمر، السيميائية الشعرية، ص: 12

<sup>5</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 13

<sup>6</sup>، فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 17

جملة القول إنّ السيميولوجيا عند الغرب هي العلم الذي يدرس العلامات، أو هي نظرية عامة للتمثيل العلامي في أجلّ صورة وتجلياتها.

## 2. عند العرب المحدثين:

يعرّف "صلاح فضل" السيميائية فيقول: "هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة".<sup>1</sup>

إنّ "صلاح فضل" يشترط أن تكون الإشارات المدروسة ذات دلالة، لأنّ السيميائيات تدرس دلالة هذه الإشارات، أمّا سعيد علوش "فيرى أنّ" السيميولوجيا هي "دراسة لكل مظاهر الثقافة كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع".<sup>2</sup>

أمّا عند الباحث المغربي "سعيد بن كراد" فهي: "ليست سوى تساؤلات تخص الطريقة التي ينتج بها الإنسان سلوكاته أي معانيه، وهي أيضا الطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني".<sup>3</sup>

بجمل القول إنّ معظم التعريفات تكاد تُجمع على أنّ السيميولوجيا/السيميوطيقا هي علم يدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية، كما أنّ فوضى الترجمة عند العرب أدّت إلى اختلاف نطق المصطلح وإلى اختلاف كتابته باللغة العربية، ويرجع السبب في ذلك إلى عدم احترام شروط نقل المصطلح أو ترجمته من بيئة الأصل إلى بيئة الهدف، وهي شروط وضعها المعجميون لتسلم ترجمة المصطلح من الخطأ، ومعظم الترجمات التي استحسناها القارئ العربي وفضلها هي مصطلح "السيمياء" أو "السيميائية" لانسجامه اللفظي والصوتي مع المصطلح الأجنبي من جهة ولعلاقته الدلالية بما ورد في تراثنا اللغوي العربي من جهة أخرى.

<sup>1</sup> عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص: 20.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 20.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 21.

## المحاضرة الثانية:

### السيمائية المصطلح والمفهوم (2)

(عند علماء العرب القدامى)

إنّ المتأمل في دراسات علماء العرب القدامى \_ البلاغية والنحوية \_ يجدهم لم يخصصوا فصلاً أو مبحثاً أو مدونة يبحثون فيها "علم العلامات"، أو علم السمة كنظرية تتحكم في السمات، ولكن سيجد \_ المتأمل \_ أنهم لم يعدوا شيئاً من الإشارة إليها أو ملامستها تحت تأملات وملاحظات سيميائية مختلفة. وفي هذا الدرس سنتناول مدى اقتراب العلماء وازدلافهم من بعض الممارسات السيميائية المبكرة في التراث، نذكر منهم "الجاحظ"، "عبد القاهر الجرجاني"، "ابن سينا" و"الغزالي".

#### 1. الجاحظ (ت:255هـ):

في كتابه "البيان والتبيين" يتحدث "الجاحظ" عن السمة ويربطها باللغة،<sup>1</sup> وخاصة حينما يتكلم عن البيان وعلاقته بالدلالة التي تنهض على شبكة من الأنساق التي تجسدها اللغة المبلغة؛ إذ مثل هذه الشبكة من العناصر والأنساق هي التي تجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوحشي من الكلام مألوفاً والغفل موسوماً ومعلوماً، وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة يكون إظهار المعنى.<sup>2</sup>

الملاحظ في قول "أبي عثمان" أنه اصطنع مصطلح الإشارة هو مصطلح "الموسوم"، فالبرعم من دراسته تنطلق من قلب التطبيقات الإجرائية، فإن تفكيره يجعله يلامس على نحو ما حقل السيميائية. إنّ "أبا عثمان" كما تشير معظم الدراسات هو أول من اصطنع مصطلح الإشارة، في معنى قريب من المصطلح المعاصر الشائع تحت مفهوم Le signal.

<sup>1</sup> أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، (ط4)، ج 1، 1975، ص92.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص:92

والإشارة تكون كذلك عند صاحب "البيان والتبيين" باليد وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، وبالثوب، وبالسيف، وما أكثر تنوب الإشارة عن اللفظ،<sup>1</sup> وفي كلام الرجل فطنة، ووعي عميق ورؤية علمية نافذة وخاصة حينما يتحدث عن اللفظ أو الصوت اللغوي الذي لا يأتي بياناً إلا بالإشارة المساعدة، ونقصد هنا النبر مثلاً ودلالته التي تأتي كقرينة تكشف حالة المتكلم، وكذلك التلوينات الصوتية وهي تبدلات يحدثها التنغيم بقسميه، تنغيم الجملة وتنغيم الكلمة، فقد تكون النغمة صاعدة وقد تكون هابطة وقد تكون مسطحة والحالات الثلاث سببها تغير نغمي في درجة الصوت. وإرسال رسالة شفوية هو حتماً ضرب من الإشارة الدالة من تمديد المحدود من الحروف (الأصوات اللغوية)، وتفخيم المفخم وترقيق المرقق.

وفي موضع آخر نلفي "الجاحظ" يقول: "جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم اللفظ، ثم الحال التي تسمى نصبة".<sup>2</sup>

واللفظ هو العلامة اللسانية العرفية المتواضع عليها في المجتمع، والإشارة هي جميع الحركات والإيماءات الدالة، فهي علامات بحكم طبيعتها التواصلية والعقد وهو الحساب بدون اللفظ والخط، والعقد وسيلة من وسائل البيان غير أنّ دلالاته محدودة في عقد الحساب بالأصابع والخط، وهي الدلالة البيانية الرابعة عند "الجاحظ" ومعاينته تتعدي المكان والزمان، فاللسان مقصور على القريب الماضي والقلم مطلق في الشاهد الغائب. والنصبة وهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشير بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، فالنصبة إذا هيئة دالة على نفسها من غير وسيلة ودلالاتها مبنية على نظرة تأملية.

(1) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص: 94

(2) المصدر نفسه، ص: 75

## 2. عبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ)

يُعرف "الجرجاني" بمبدئه المشهور والمتمثل في التقسيم الثنائي للكلام، والذي يراه المحدثون "القاعدة الأساسية التي تبنى عليها معظم الدراسات الحديثة".

يقول "الجرجاني": "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده (...)", وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.<sup>1</sup>

إنّ القراءة المتأملّة لنص "الجرجاني" تكشف أن الضرب الأول يقضي إلى الوقوف عند حدود المعنى فحسب، بينما الضرب الثاني إلى معنى المعنى، وهنا نستحضر المقولة الشهيرة لـ "مايكل ريفاتير": "إنّ الأدب بقوله شيء يقول شيء آخر".<sup>2</sup>

أي في حالته الفنية التي تشير إليه (الأدب) العلامات إلى مدلولات أخرى، وهي مفهومات أطلق عليها "الجرجاني" "معنى المعنى" وأطلق عليها "ريفاتير" "اللانحوية" ويطلق عليها بعض البلاغيين اليوم اسم "البلاغية".

كما نلفي أن التقسيم الذي أصّله "الجرجاني" يقترب كثيرا من مفهوم "بيرس" للعلامة من حيث قابلية "المؤول"، وتسمى هذه العملية بـ "السيميويزيس".

ومن كتاب "دلائل الإعجاز" نستحضر المقولة المشهورة لدى العرب "فلان كثير الرماد"، فهذه العبارة الشهيرة يمكن أن تتحول من البعد البلاغي إلى الحقل السيميائي، فالرماد ليس إلّا دليلا على وجود احتراق أي معلول بعلة النار المحرقة، فهو سمة حاضرة تدل على شيء غائب، فلا رماد إذن إلا بنار، كما أنّ لا دخان بلا نار، فالرماد قرينة (Indice)، وهو مصطلح مشهور في حقل السيميائيات.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994، ص:23

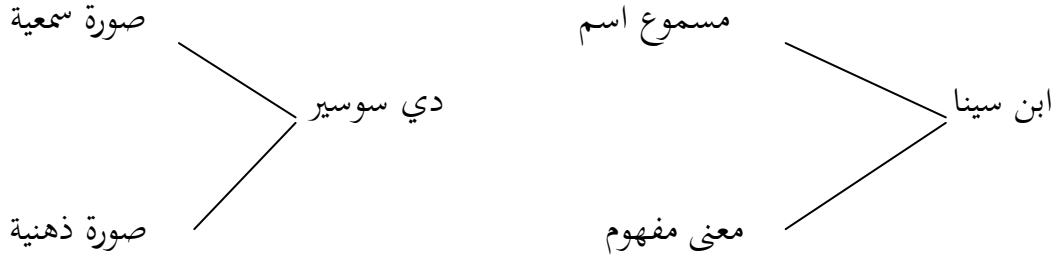
<sup>2</sup> سيزا قاسم نصر أبو أحمد زيد، أنظمة العلامات، ص:47



### 3. ابن سينا (ت:428هـ):

يقول "ابن سينا": "إنّ الإنسان قد أوتي قوة حسية ترسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدى منها إلى النفس، فترسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا، وإن غابت عن الحس ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم عن النفس معنى فتعرف النفس أن هذا المسموع بهذا المفهوم، فكلما أورده الحس عن النفس التفتت إلى معناه".<sup>1</sup>

القراءة الدقيقة لنص "ابن سينا" تكشف لنا مدى تواشج نصه بتصوير "فرديناد دي سوسير" للعلامة، ويمكن أن نبين في المخطط الآتي:



العلامة في نظر "ابن سينا" تتكون من "مسموع اسم" و"معنى مفهوم"، وهو الشيء الذي بينه "دي سوسير" في دروسه وهو العلامة، وتتكون من دال صورة سمعية ومدلول صورة ذهنية.

### 4. الغزالي (ت:505هـ)

يرى "الغزالي" أنّ الأشياء في الوجود لها أربع مراتب حيث يقول؛ أن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى في النفس، والذي في النفس هو مثال موجود في الأعيان.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ابن سينا أبو علي الحسن بن عبد الله، كتاب الشفاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص: 3 و4.

<sup>2</sup> الغزالي، معيار العلم، نقلا عن أحمد حساني، العلامة في التراث، مجلة تجليات الحدائث، العدد الثاني، ص: 35 و36.

إنّ العلامة في نظر "الغزالي" كيان متكامل يتكون من أربعة أطراف أساسية:

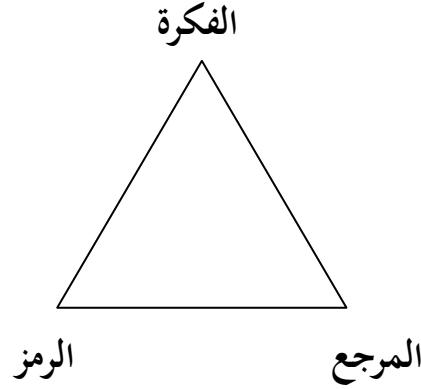
— الموجود في الأعيان.

— الموجود في الأذهان.

— الموجود في الألفاظ.

— الموجود في الكتابة.

المتأمل في هذه الأطراف يجد أن طرح "الغزالي" يتوافق مع النظرية "الدلالية الإحالية" التي قال بها "أجدن" و"ريتشارد" في كتابهما "معنى المعنى"، واختصرت فكرتهما في كل مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية (العلاقة بين الكلمات والأفكار من جهة، والأشياء المشار إليها من جهة أخرى)، ويمكن أن نبين ذلك من خلال الشكل التالي:



1. الرمز يقابل عند "الغزالي" الموجود في الألفاظ.

2. الفكرة تقابل عند "الغزالي" الموجود في الأذهان.

3. المرجع تقابل عند "الغزالي" الموجود في الأعيان.

وإنّ العلاقة الموجودة في الألفاظ (الرمز \_ الدال) والموجودة في الأذهان (الفكرة \_ المدلول)

علاقة سببية، أي أن الدال يستدعي في ذهن المتلقي المدلول، كما أنّ المدلول يستدعي في

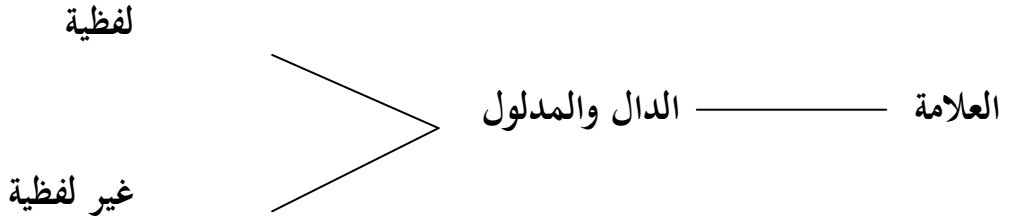
ذهن المتكلم الدال الملازم له. "والموجود في الأعيان، والأذهان لا يختلف باختلاف البلاد، والأمم بخلاف الألفاظ والكتابة، فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح".<sup>1</sup>

إنّ قول "الغزالي" يقابل قول "نعوم تشومسكي"، يقول هذا الأخير: "إن البنية العميقة التي تحدد المعنى مشتركة بين كل اللغات، وذلك لأنّها ليست سوى انعكاس لأصول الفكر والقواعد التي تحول البنية العميقة إلى بنية سطحية تختلف من لغة إلى أخرى".  
إنّ هذه النظرية \_الغزالي\_ تقف ندا قويا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث.

### أنواع العلامات في الموروث الفكري الغربي:

لقد سعى علماء العرب المحدثون إلى تبيان أنواع العلامات، وحصروها باعتبار أن التراث لا يعدو وأن يكون في جوهره مخزونا معرفيا وثقافيا، يتبدى في صورة نظام من العلامات الدالة.<sup>2</sup>

أولا: إذا نظرنا إلى العلامة من حيث طبيعة الدال والمدلول فهي لفظية وغير لفظية.



ثانيا: فإذا نظرنا إلى العلامة من حيث العلائق القائمة بين طرفيها الأساسيين (الدال والمدلول)، فهي إما وضعية أو عقلية أو طبيعية.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 74.75

<sup>2</sup> عاطف القاضي، الدلالة عند الأنصاري، مجلة الفكر الغربي، العدد 25 أبريل 1978، ص: 5



وإذا نظرنا إلى العلامة اللفظية الوضعية نجد أنها تنفرع إلى مطابقة وتضمن والتزام.

ويمكن توضيح بعض المفاهيم:

1. العلامة الوضعية: وهي العلامة المتفق عليها في المجتمع.
  2. العلامة العقلية: يقصد بها دلالة الأثر على المؤثر بدلالة الدخان على النار.
  3. العلامة الطبيعية: مثلاً كل العلامات التي تعكس أصوات الطبيعة، تندرج ضمن هذا الصنف، كذلك الصيحات المصاحبة للانفعالات والتبدلات الفيزيولوجية.
- محمل القول إنّ الرصيد التراثي \_ المعرفي والثقافي العربي \_ لم يعد شيئاً من الإشارة إلى السيميائية، فصحيح أنّ علماء العرب القدامى لم يمارسوا هذا العلم من حيث هو نظرية تتحكم في السمات، ولكن تجلياته بارزة وبيّنة القسّمات في مباحثهم، وما تصنيفهم للعلامة إلا دليل على اقتراحهم وملا مساهمهم على نحو ما أو هون ما حقل السيميائية.

## المحاضرة الثالثة:

### مبادئ وأسس السيميائيات

لكل علم مبادئ وأسس تميزه عن غيره من العلوم، وتوضع هذه الأسس بحسب طبيعة واستقلالية هذا العلم من جهة ، والهدف المنشود والمراد تحقيقه من خلال الممارسة في ضوء آلياته وقواعده من جهة أخرى، والسيميائيات في معناها الأكثر بدها هي تساؤلات حول المعنى، أو تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة، وهي كذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله، وإنما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص ما قاله؟ ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد لتحديد ثوابته البنيوية، وهذا العمل يقوم على المبادئ التالية: "التحليل المحايث"، "التحليل البنيوي" و"تحليل الخطاب".

### التحليل المحايث (المحايشة) Immanence :

مصطلح "المحايشة" من المصطلحات التي لاقت رواجاً في الساحة النقدية الغربية وخاصة الأوروبية، حيث شهدت فترة ستينيات القرن الماضي تداولاً واسعاً لهذا المصطلح لارتباطه بالمنهج البنيوي الذي ساد فترة طويلة امتدت لأكثر من خمسة عقود، ووردت كلمة "ملازمة" في قاموس "مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" مقابل "المحايشة"، وهي تعني:<sup>1</sup>

1. ملازمة ما هو موجود في طبيعة الشيء.

2. في الألسنية: الملازمة هي مبدأ منهجي يقوم على تحديد الظواهر الألسنية، وفي غير الألسنية: ترفض الدراسة الملازمة للكلام الاستعانة بالظواهر والتفسيرات الخارجية، وطرح "دي سوسير" مبدأ الملازمة لإرساء دعائم استقلالية الألسنية في موضوعها ومنهجيتها. يمكن

(1) رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي/الإنجليزي/فرنسي)، (ط1)، دار الحكمة، الجزائر، 2000م، ص: 89

أن ندرس قوانين لعبة الشطرنج دون أن نتعرض لمنشئها وتطورها التاريخي، ودون أن نهتم بالمادة التي شكلت منها الحجرات، نفس التصور الذي يسلكه الألسني الذي يدرس اللغة من الداخل دون أن يستعين بالمؤرخ والفيلولوجي.

بمعنى أنّ التحليل المحايت ينظر إلى النصّ إلّا في ذاته، أي إقصاء أثناء الدراسة كل الظروف والملابسات التي أحاطت بالنص، والتركيز على الدوال الداخلية المتجكمة في إيجاد الدلالة، فالمعنى هو أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر "بحسب" فيصل الأحمر". ثم انتقل المصطلح إلى مجال السيميائيات وأصبح مصطلحا رئيسيا من المصطلحات السيميائية.

### التحليل البنيوي:

حينما يدرس الناقد البنيوي المادة أو النص، فأولى خطواته هي التأمل في عناصر المادة ومعرفة طرائق أدائها لوظائفها وعلاقات بعضها ببعض، دون أن يتجاوز حدود المادة أو النص، ومن شروط التحليل<sup>1</sup> أن يكون الناقد البنيوي متسلحا بالعلوم التي تخص موضوعه ولا سيما علم اللسانيات، لأنّ التحليل البنيوي هو تحليل ألسني بالأساس يجري على اللغة التي يبني منها النص، وتناط للناقد أو المحلّل مهمة كشف عناصر البنية، وذلك من خلال النظر في نسيج العلاقات اللغوية وأنساقها، ويجب النظر في البنية العميقة للنص، وفي أنساق التراكيب من خلال المحور الأفقي والمحور العمودي، لتكشف عن دلالتها، فالأول (المحور الأفقي) يتعلق بالجذر التركيبي والثاني (المحور العمودي) ويتعلق بالدلالات أو الإيحاءات.<sup>2</sup> فالتعامل مع النص هو تعامل "ذري مغلق على نفسه وموجود بذاته، فتدخل تبعاً لهذا المفهوم في مغامرة الكشف عن لعبة الدلالات".<sup>3</sup>

(1) ينظر: بمعى العيد، في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (د-ت)، ص: 35، 36.

(2) المرجع نفسه، ص: 36.

(3) محمد نيس، ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب، مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1979، ص: 23.

## تحليل الخطاب:

لا يختلف اثنان على أنّ اللسانيات البنيوية لم تتجاوز في دراستها الجملة تركيباً وإنتاجاً باعتبارها جزءاً من الخطاب، لكن مع ظهور السيميائية انفتح النص على عدة عوالم، أي تجاوزت الدراسة نظام الجملة وما يسمى "بالقدرة الحاصلة"، فالتحليل السيميائي كما ترى جماعة "أنترفون" هو ذاته تحليل الخطاب فـ "السيميوطيقا تهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص، وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية ولذلك، فمن المناسب الآن وضع القواعد والقوانين التي تتحكم في بناء هذه الأقوال وتلك النصوص"<sup>1</sup>، ويرجع فضل انفتاح النص إلى جهود المنظرين السيميائيين الذين سعوا إلى بناء نظرية عامة للغة كـ "فرديناد دي سوسير" وخاصة ثنائياته المشهورة (اللغة والكلام) و"نعوم تشومسكي" وثنائياته (الكفاءة والأداء).

---

<sup>(1)</sup> جماعة أنترفون، التحليل السيميوطيقي للنصوص، ترجمة محمد السرغينين مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد 2، 1986، ص26.

## المحاضرة الرابعة:

### منطلقات السيميائية عند "بيرس"

مثل الفيلسوف المنطقي "تشارلز ساندرس بيرس" (Charles.S.Pierce 1838-1914) الاتجاه الأمريكي، وهو يختلف في دراسته للعلامة عن الدراسة والتصورات التي وضعها "دي سوسير"، "فالسيميوطيقا عند "بيرس" بمثابة بحث رمزي موسع يشمل الدلائل اللسانية وغير اللسانية".<sup>1</sup>

وجعل السيميوطيقا مدخلا ضروريا إلى المنطق بل حتى أنه جعل منها مرادفا له ، وفي هذا الصدد يقول: "إنّ المنطق بمعناه العام ليس سوى تسمية أخرى للسيميوطيقا، إنّ النظرية شبه الضرورية أو الشكلية للدلائل".<sup>2</sup> ودراسته للرياضيات والأخلاق والمياتفيزيقا والجاذبية وعلم الأصوات والاقتصاد وتاريخ العلوم... لم تكن بمعزل عن السيميوطيقا<sup>3</sup> عند هذا الرجل، فرؤيته شمولية تمتد لتشمل كل ما تنتجه التجربة الإنسانية، ويرى في كل الأفعال الصادرة عن الإنسان سيرورة بالغة التركيب والتداخل<sup>4</sup>، وهي رؤية فلسفية ظاهرية أو فينولوجية (Phénoménologie) انعكست على تصوره للعلامة، فالظاهرية والرياضيات والمنطق في رأي "بيرس" شروط ضرورية توصل إلى الصدق أو علم القوانين الضرورية للفكر التي تجسده العلامات.

**التقسيم الثلاثي للعلامة (Trichotomie):** قسّم "بيرس" العلامة إلى ثلاثة أقسام:  
**الممثل-الموضوع-المسؤول**، وهذا التقسيم ناتج عن طبيعة "الفكر البيرسي" وعن خلفياته أو مرجعياته الفلسفية.

<sup>1</sup> حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، (ط1)، 1987، ص:69

<sup>2</sup> نقلا عن: جميل حمداوي، الإتجاهات السيميوطيقية، (ط1)، 2015، ص:16

<sup>3</sup> ينظر: حنون مبارك، دروس في السيميائيات، ص:17

<sup>4</sup> سعيد بنكراد، السيميائيات. مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، (ط3)، ص:85



## 1. الخلفية الفلسفية:

تجمع معظم الدراسات أنّ أثر تصورات "أفلاطون" و"أرسطو" و"كانط" بارزة في الفكر البيروني، إضافة إلى معلوماته الرياضية والعلمية، وقد اجتهد الباحث المغربي محمد مفتاح في كتابه "المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي" في تقسيم مراحل فلسفة "بيرس" فجعلها مرحلتين:<sup>1</sup>

المرحلة الأولى "المثالية": ويرصد فيها ثلاث مراحل:

**الحقبة الكانطية:** واهتمّ فيها "بيرس" بقضايا كثيرة منها العلاقة، والكمية والكيفية والجهة، ولعلّ جذور هذه المقالات ضاربة في عمق الفلسفة الإغريقية، وانتقى منها ما يناسب نظريته وركز على مقولة العلاقة ومقولتي جهتي الإمكان والضرورة، ومقولة الشيء في ذاته.<sup>2</sup> وأما "محمد مفتاح" إلى أنّ "بيرس" درس فلسفة "كانط"، وأعجب بفكرة نقد العقل الخالص وتبناها، وكذا أطروحة "كانط" القائلة بأنّ "وظيفة الوعي هي اختزال تعدد الانطباعات الحسية إلى وحدة".

**الحقبة الرياضية المنطقية:** وفيها تأثر بالعالم الرياضي "دوبوول"، وخاصة بفلسفته القائمة على ضرورة وجود علاقة بين أطراف ثلاثة، وهي فرضية أطلق عليها "بيرس" "البروتوكول الرياضي" والتي تكون فيها العلامة وفقها ثلاثية، وقد سبق لـ "بيرس" أن برهن على الطابع الضروري للثلاثية (Trichotomie)، "ذلك بأنه لا يمكن أن نفكر في العدد (X) دون أن نتصور في الوقت نفسه حده، لكن تصور (1) و (2) لوصفهما كيانين منعزلين يستلزم ثالثاً من طبيعة أخرى، فإن وجد حداً أو حدين أضيف إليهما ثالث وإن وجد أكثر اختزل إلى ثالث".<sup>3</sup>

(1) ينظر: فيصل الأحمر، معجم اللسانيات، ص: 48

(2) المرجع نفسه، ص: 49

(3) المرجع نفسه، ص: 49

الحقبة التطورية: وفيها نتجاوز نظرة "بيرس" للعلامة اللغوية وغير اللغوية، التي تبرز في الحياة الاجتماعية كما يرى "دي سوسير"، بل تخطى ذلك لتشمل الكون كله وما يحتويه، ويرى "محمد مفتاح" أن تشكل الكون والمخلوقات كان هاجسه، فهو متأثر بالطبعانيين والنظرية التطورية الداووينية عامة،<sup>1</sup> ويلغي مبدأ الثانية التي تأثر به "دي سوسير" والذي يرى أنّ الكون قائم على مبدأين متعارضين الخير/الشر.

المرحلة الثانية "الواقعية": وفيها اقترح "بيرس" قواعد ليصل إلى معنى الكلمات والمفاهيم بطريقة منهجية، وزاوج بين المعرفة العقلية والغاية العقلية، كما اقترح حلول للمسائل الفلسفية الحقيقية معتمدا على الملاحظة، والاستقراء والعلمية والتجريبية.

ويستخلص صاحب معجم اللسانيات أنّ "بيرس" انطلق من فرضيتين اثنتين هما:<sup>2</sup>

**فرضية الاتصال:** يفترض إنشاء علاقات وترابطات واتصالات، والغاية والمنفعة والعادة والمجتمع منطلقات لخلق الرموز والقوانين، وأجمع الباحثون على تسمية منهجه بـ "الذرائعي الظاهراتي"، وظاهرتي كون الأشياء، حاضرة في الذهن سواء كانت مناسبة لشيء واقعي غير واقعي، إذ تعتمد وصف الأشياء كما هي.

**فرضية الاقتطاع:** تأتي نتيجة التثليث للأشياء (للأشياء ثلاثة أطراف أساسية)، وهو مبدأ أقره من نظريته الرياضية، ومبدأ أنّ الأشياء تبدأ بالمجرد وتنتقل إلى المحسوس، وكذا مبدأ الاتصال والترابط الذي يستلزم انتظام الكون، ومن ثمّ يصنف جهات الوجود أو ما يسمى بالمقولات الفانيروسكوبية (Phaneroscopie) الثلاث: الأولانية (Priméité). والثانية (Secondéité) والثالثة (Tiercéité).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 49

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص: 50

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 51

الأولانية (الوجود النوعي): وتعني وجود شيء في نفسه مرتبطا بشيء وممتدا في الأشياء المادية أي أنه موضوع/ذات، فلفظ (ش ج رة) هو مجرد أصوات مبهمه المعالم، وهي مجرد ظاهر قد يتحقق وقد لا يتحقق مجسدا.

الثانانية (الوجود الفعلي): هي كل ما هو موجود في عالمنا الخارجي متجسدا ومحققا أي أنه الملامح والمعالم المشتركة لمفهوم الأولانية، مثلما نأخذ بيد شخص ونريه شجرة حقيقية في الواقع لينطبق اللفظ المبهم بالصورة الفعلية.

الثالثانية (القانون والضرورة): تربط بين الأولانية والثانانية، فهي نسق يتحكم في عناصره الموجودة ويستحضر إلى الذهن ما غاب عنها، والثالثانية ليست مفروضة من الطبيعة، ولكنها فرضت على طبيعة لتحديد اللامحدود،<sup>1</sup> أو كما عبّر عنها "سعيد بنكراد": "هي القانون الذي سيحكم الوقائع استقبالا"، فمثلا إذا أشرنا إلى (شجرة) احتمالا لا نكون مع الأولانية، وإذا جسدناها واقعا تصبح ثانانيا، أما إدراكها وفق القانون ندرك به جميع الأشجار فهي ثالثانية.

**العلاقة الثلاثية:**

وهي العلاقة التي تجمع بين عناصر العلامة أو ما يسمى بعناصر التدلّال، وهي الممثل (Représentant) الموضوع (Objet) والمؤول (Interprétant).

الماثول يحيل على الموضوع عبر المؤول

## مؤول

موضوع \_\_\_\_\_ ماثول

**أبعاد العلامة:**

تركّز "سميوطيقا بيرس" على ثلاثة أبعاد رئيسية هي : البعد النحوي، ويسميه "تشارلز موريس" (Ch Morris) البعد التركيبي (النظمي) والبعد الدلالي (الوجودي)، والبعد التداولي (المنطقي)، وكل واحد منها يتضمن ثلاث علامات وفيما يأتي بيان ذلك:

(<sup>1</sup>) ينظر: محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، طبعة 1989، الدار البيضاء، المغرب، ص: 80

أ. **البعد الأول (التركيبى):** وهو بعد الممثل (Représentamen)، منظورا إليه في علاقته مع ذاته والممثل \_ باعتباره علامة رئيسية \_ يتفرع إلى ثلاث علامات فرعية ( Sous Signe) تبعا لعلاقته بالمقولات الفانيروسكوبية الثلاث (الأولية/ Priméité، والثانوية/ Secondéité والثالثة/ Tiercéité) وذلك على النحو التالي:<sup>1</sup>

**العلامة الوصفية (Qualisigne):** وهي الصفة التي تشكل علامة ولا يمكن أن تشتغل إلا وهي متجسدة \_ ماديا \_ في العلامة الفردية، ومثال العلامة الوصفية اللون الدال على شيء ما.

**العلامة الفردية (Sinsigne):** ويعرفها "بيرس" بأنها "شيء أو حدث موجود وواقعي في شكل علامة"، كما أنّها "موضوع أو حدث فردي". ويمكن أن تمثل لهذه العلامة بالنصب التذكاري أو بعرض (Symptôme) داء معين.

**العلامة العرفية (Légisigne):** هي قانون أو قاعدة أو مبدأ عام في شكل علامة، وتعد أنساق الكتابة الخاضعة لقواعد الصرف والنحو علامات عرفية.

ب. **البعد الثنائي (الدلالي):** وهو بعد الموضوع (Objet)، ويتعلق الأمر هنا بالعلامة منظورا إليها في علاقتها بموضوعها الذي تحيل إليه، ويتكون هذا البعد من ثلاث علامات فرعية كالاتي:<sup>2</sup>

**الأيقونة (Icône):** وهي تشبه الموضوع الذي تمثله، يقول "حنون مبارك": "إن الأيقونة صورة تستنسخ نموذجا"، والصورة الفوتوغرافية مثال لهذا النوع من العلامات.

**القرينة مؤشر (Indice):** وهي تنسج علاقة مباشرة أو ملاصقة مع موضوعها، ومثالها الدخان الذي هو أمانة على وجود النار.

<sup>(1)</sup> ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 54

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص: 55

الرمز (Symbole): وهو يحيل إلى موضوعه بفضل قانون أو أفكار عامة مشتركة، وتعد كل علامة تعاقدية (أو اصطلاحية) رمزا، والرمز \_باعتباره علامة فرعية ثالثة لبعد الموضوع\_ نوعان، أحدهما مجرد (Abstrait)، وهو شكل منحل (Dégénéré) عن الرمز الذي ليس لموضوعه إلا طابع عام، والآخر متميز (Singulier)، وهو شكل آخر منحل عن الرمز الذي يكون موضوعه فردا موجودا، بحيث لا يعني هذا الموضوع إلا الطبائع التي يملكها هذا الفرد.

ج. البعد الثالث (التداولي): وهو بعد المؤول (Interprétant)، ويخص الأمر هنا العلامة منظورا إليها في علاقتها بالمؤول ويتفرع هذا البعد إلى مؤول أول ومؤول ثان ومؤول ثالث تبعا لنوعية العلاقة التي يعقدها مع المقولات الثالث، وذلك كما يأتي:<sup>1</sup>

الفدليل (تصور) (Rhème): ويترجمه "حنون مبارك" "بالخبر"، و"السرخيني" بـ"المسند إليه"، ويستعمل آخرون مصطلح "سمة" مقابلا للفظ الأجنبي (Rhème) ويقتصر بعض الباحثين على ترجمة هذا المصطلح ترجمة حرفية "ريم"، ويقصد بالفدليل في السيميوطيقا البرسية علامة الإمكانية الكيفية (Possibiquitative)، أي إنه مدرك باعتباره يمثل هذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن، ويمكن للفدليل أم يمدنا بإخبار (أو معلومة)، إلا أنه لا يؤول بوصفه شيئا يمدنا بإخبار ما.

العلامة الإخبارية (تصديق) (Dicisigne): وهي تخبر وتعطي معلومة تتعلق بموضوع العلامة، ويعرفها "دولودال" بأنها "العلامة التي تكون بالنسبة لمؤولها علامة وجود واقعي: إنها تقد إعلاما يتعلق بموضوعه"، ويمكن أن تمثل لهذه العلامة بالجملة البيانية.

البرهان (حجة) (Argument): وهو علامة تشكل بالنسبة إلى مؤولها علامة قانون، ولو لم يكن للإستدلال (Raisonnement) بعد سيكلوجي لسماه "بيرس" به، ولأن البرهان

(<sup>1</sup>) المرجع السابق، ص: 56

ثالثي بسبب مبدأ "تراتبية المقولات"، فإنه التعبير المختصر للعلامة التامة: أي العلامة العرفية الرمزية البرهانية.

ويمكن تلخيص الأبعاد الثلاثة المذكورة، وتفريعاتها المترتبة عن علاقتها بالمقولات الثلاث على الجدول الآتي:

المؤول	الموضوع	العلامة	
علامة عرفية	علامة منفردة (عقلية)	علامة طبيعية نوعية	الممثل باعتباره علامة
رمز	مؤشر/شاهد	أيقونة	العلامة بالنظر إلى الموضوع
حجة	تصديق	تصور	العلامة بالنظر إلى المؤولة

ولا يمكن أن تقوم العلامة إلا بوجود هذه العناصر الثلاثة مجتمعة، وهذا ما أسماه "بيرس" "السيميويزيس Semiosis"، وكل علامة من العلامات الثلاث المتقدمة ثلاثية الطابع، معنى هذا أن ثمة تسع علامات فرعية، ومن الناحية النظرية، نحصل على 33 أي على 27 صنفا من العلامات الممكنة إلا أن "بيرس" اختصرها في عشرة أصناف هي: العلامة الوصفية الأيقونية الفدللية (الشعور بالاحمرار مثلا)، والعلامة الفردية الأيقونية الفدللية (رسم بياني معطى مثلا)، والعلامة الفردية القرينية الفدللية (الصراخ التلقائي مثلا)، والعلامة الفردية القرينية الإخبارية (دوار الهواء مثلا)، والعلامة العرفية الأيقونية الفدللية (رسم بياني عام مثلا)، والعلامة العرفية القرينية الفدللية (اسم الإشارة مثلا)، والعلامة العرفية القرينية الإخبارية (صراخ في الزقاق مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية الفدللية (اسم عام مشترك مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية الإخبارية (التحليل القياسي مثلا)، والعلامة العرفية الرمزية البرهانية (العلاقة التضمينية مثلا)، ويترتب عن ربط العلامات بعضها ببعض 66 نوعا من

العلامات السيميائية. ولكن الملاحظ أن الإهتمام الأكبر قد أنصب على الثلاثية الثانية المشكلة للبعد الدلالي، أي على العلامات الفرعية التالية: الأيقونة والقربنة والرمز.

وأخيرا يمكن القول أنّ سيميوطيقا "بيرس" ليست مجرد أدوات إجرائية يمكن استثمارها في قراءة ظواهر معينة، لكنها بالإضافة إلى ذلك تصور متكامل للكون، الذي هو سلسلة لا متناهية من الأنساق السيميائية، إذ يستحيل فصل العلامة عن الواقع، لأن هذا الأخير عبارة عن سلسلة من العلامات التي لا تنفك تحيل على علامات جديدة تدرج ضمن سلسلة أخرى من الإحالات وهكذا دواليك.

## المحاضرة الخامسة:

### منطلقات السيميائية عند دي سوسير

إنّ السيميولوجيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه السوسيري "فرديناند دي سوسير"، منذ القطيعة الإستمولوجية التي أحدثها مع الدراسات اللغوية السابقة وهو وإن لم تكن دراساته حول السيميولوجيا، إلا أنه أرسى قواعد أساسية تبناها كل السيميائيين الذين أتوا بعده.

لقد دعا إلى تبني المنهج الوصفي الذي لا تحتكم قوانينه إلى العوامل التاريخية أو الخارجية الأخرى، بل إنّ اللغة في إطار هذا المنهج يجب أن تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، إنها منهج مغلق لا يؤمن بما يقع خارجه من عوامل، ولأنه منذ البداية أراد أن يصل إلى دقة علمية كبيرة في بحوثه النظرية فقد كان أكثر تخصيصاً لبحثه، الذي هو اللغة دون سواها، وترك لمن أتى بعده مهمة التكفل بالقضايا الدلالية، والإشارات غير اللغوية الأخرى، لكنه لم ينس توضيح مجال بحثه الذي هو "دراسة اللغة الطبيعية" ليقول أنّها جزء من علم عام هو علم السيميولوجيا.

كان "دي سوسير" يدرك منذ البداية أن العملية التواصلية تتم عبر مجموعة من الإشارات اللغوية وغير اللغوية، فكانت أول خطوة قام بها هي "تحديد علم اللغة بعد النظر إلى شتى العوامل البيولوجية والفيزيائية والسيكولوجية والاجتماعية والتاريخية والجمالية والعلمية، التي تتداخل وتتشابك لتكوّن نسيج النشاط اللغوي لدى البشر".<sup>1</sup> فبعد أن رأى أن "اللغة مؤسسة اجتماعية، ولكنها تتميز عما سواها (...). بعدة سمات"<sup>2</sup>، نستنتج أنه من الضروري إدراج ظواهر من صعيد آخر في هذا السياق ذلك أنّ هذه اللغة ما هي إلا "نظام من الدلائل يعبر عما للإنسان من أفكار، وهي في هذا شبيهة بالكتابة، وبألف بائية الصم

(<sup>1</sup>) سمير حجازي، المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار الراحب الجامعية، بيروت، لبنان، ص: 199

(<sup>2</sup>) فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص: 37



والبكم، وبالطقوس الرمزية وصور آداب السلوك وبالإشارات الحربية وغيرها"<sup>1</sup>، فاللغة إذن ما هي إلا وسيلة من الوسائل التي تحقق الدلالة وتنقل أفكار الإنسان إلى الآخرين، ومن ثم تساعد على التواصل كغيرها من الأنظمة الأخرى، وإن كانت \_ كما أكد "دي سوسير" \_ أهم هذه الأنظمة جميعها، أما أهميتها فتتعلق إلى كونها المضمون الرئيس للكون، ولأنماط وجوده، فلا يمكن معرفة أي شيء دون الاستعانة بعلامات اللسان، ذلك أن العالم بكل موجوداته يحضر في الذهن على شكل مضمون لساني، ولأنه توجد أنظمة تواصلية أخرى غير اللغة الطبيعية، فلا بد من تصور علم "يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية، وقد يكون قسما من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي قسما من علم النفس العام، ونقترح تسميته Sémiologie، أي علم الدلائل وهي كلمة مشتقة من اليونانية Sémeion، بمعنى دليل ولعل سيمكنا من أن نعرف مما تتكون الدلائل والقوانين التي تسيرها، ولما كان هذا العلم غير موجود بعد، فإنه لا يمكن أن نتنبأ بما سيكون، ولكن يحق له أن يوجد ومكانه محدد سلفا"<sup>2</sup>.

نفهم من القول أنّ "دي سوسير" قد جعل السيميولوجيا فرعا من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم من علم النفس العام، ولعل السبب الذي جعله يضع السيميولوجيا هذا الموضوع من علم النفس وعلم الاجتماع هو ولعه بالنتائج التي توصلت إليها أبحاث هذين العلمين، على يد معاصريه "فرويد" و"دوركايم"، ومن خلال تسميته لهذا العلم بالسيميولوجيا اشتقاقا من Sémeion اليونانية ندرك وعيه بالدراسات اللغوية القديمة العائدة إلى الجذور اليونانية.

وقد أكد "دي سوسير" أنّ النتائج التي سيتوصل إليها علم الدلائل سوف تطبق على اللسانيات، ذلك أن هذه الأخيرة ما هي إلا جزء، أو مفصل من علم عام هو علم

(<sup>1</sup>) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص: 37.

(<sup>2</sup>) ينظر: المرجع نفسه، ص 37.

العلامات، فاللسانيات إذن تتقيد بدقة "بمجال محدد في مجموعة القواعد الأثنولوجية".<sup>1</sup> أما أهميتها فتعود إلى كونها ألحقت بعلم الدلائل ليس إلا - كما يقول "دي سوسير" - الذي يعترف منذ البداية بأهمية السيميولوجيا، وإن لم تتحدد معالمها بدقة بعد، كيف لا وهي الكل، أما اللغة فلا تمثل إلا جزءا صغيرا منها، ولكن هناك الكثير من السيميولوجيين الذين أتوا بعده، وقلبوا مقولته هذه وأولهم "رولان بارث"، الذي رغم أنه احتفظ بمفاهيم ومصطلحات كثيرة لـ "دي سوسير" خاصة مصطلحي الدال والمدلول الذين فضلهما على مصطلحي التعبير والمحتوى لـ "هيلمسليف" كما احتفظ بمفهوم ثنائية اللغة والكلام برتمته، والذي ينظر "دي سوسير" من خلاله إلى اللغة على أنها منظومة من العلامات تعبر عن فكرة ما، أما الكلام فهو عمل فردي للإرادة والعقل، إلا أنه قلب مقولة اللسانيات جزء من السيميولوجيا، وقال بأنّ "اللغة ليست إلا جزءا من علم العلامات، والنظر إلى علم العلامة بوصفه فرعا من علم اللغة العام، وبالضبط ذلك القسم الذي يتحمل على عاتقه كبريات الوحدات الخطابية الدالة".<sup>2</sup>

فاللسانيات أهم بكثير من السيميولوجيا لأنها الأساس في تكوينها وتشكيل قواعدها، وهو نفس الرأي الذي ذهبت إليه "جوليا كريستيفا" حين تقول: "تستطيع اللسانيات أن تصبح النموذج العام لكل سيميولوجيا، بالرغم من كون اللسان ليس سوى نسق خاص من ضمن الأنساق السيميولوجية"،<sup>3</sup> و كيف لا تكون اللسانيات هي أساس السيميولوجيا وهذه الأخيرة قد تبنت في منطلقاتها كل المبادئ الألسنية، ولأن مهمة السيميولوجيا السوسيرية هي الكشف عن كينونة الدلائل كيفما شاءت بأي نظام كانت، فإنّ التعرض لمفهوم الدليل عند

(1) أحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 132

(2) عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (النبوية- السيميائية- التفكيك)، ص 77

(3) جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، (ط2)، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص 15

"دي سوسير" مهم في مقامنا هذا، فقد ربطه بمفهوم النظام، هذا الأخير الذي هو "الرابط الحقيقي بين العناصر الصوتية والعناصر النفسية في صلب كل دليل من الدلائل"<sup>1</sup>.  
ويقصد "دي سوسير" بالعناصر الصوتية الدوال، فقد حصر الدال في الصورة الصوتية فقط، أما العناصر النفسية فهي المدلولات وهو تأكيد آخر على الجانب النفسي في دراسات "دي سوسير"، والنظام السوسيري "يتضمن مفهوم الكل والعلاقة، حيث لا يمكن فهم وظيفة الأجزاء إلا في علاقتها الإختلافية مع الكل، فالأجزاء داخل النظام ليس لها معنى في حد ذاتها عندما ينظر إليها معزولة، وهو ما عبّر عنه "دي سوسير" بمفهوم القيمة Valeur<sup>2</sup>.  
وقوله "علاقتها الإختلافية" مبني على رؤيته للغة، يقول: "أما في اللغة فإنك لا تجد إلا اختلافات دون وجود لعناصر إيجابية، فسواء اعتبرت المدلول أو الدال، فإنك لن تجد في اللغة أفكارا ولا أصواتا وجودها سابق لوجود النظام اللغوي، إنما تجد فيها اختلافات تصورية، وأخرى صوتية نابعة من ذلك النظام"<sup>3</sup>.

لا قيمة إذن للأفكار مجردة عن الدوال، ولا قيمة للدوال دون أفكار، ووجودهما مستقلان عن بعضهما البعض مستحيل، ثم إن الدلالة لا تتكون إلا داخل النظام، أو الوحدات اللغوية، ولا تعرف إلا في علاقاتها التعاضدية، وهذا ما يفترضه مفهوم القيمة كما وضع "أنور المرتحبي"، والتصور السوسيري لمفهوم القيمة كما يقول "رولان بارث": "يتكئ على خلفية ديمقراطية تنتظم العلاقة بين الدلائل، أي أنّ "دي سوسير" يتعامل معها كمواطنين في مجتمع (داخل نظام) يقوم على المساواة"<sup>4</sup>.  
وهو تشبيه رائع من "بارث" يوضح بشكل جيد مفهوم القيمة عند "دي سوسير"، حتى أنه ترك لنا مجالاً للشرح أكثر، ويمكن أن أعطي مثالا توضيحيا أورده "دي سوسير"، وهو تشبيهه

<sup>1</sup> فرديناد دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة ص 183.

<sup>2</sup> أنور المرتحبي، سيميائيات النص الأدبي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص 10

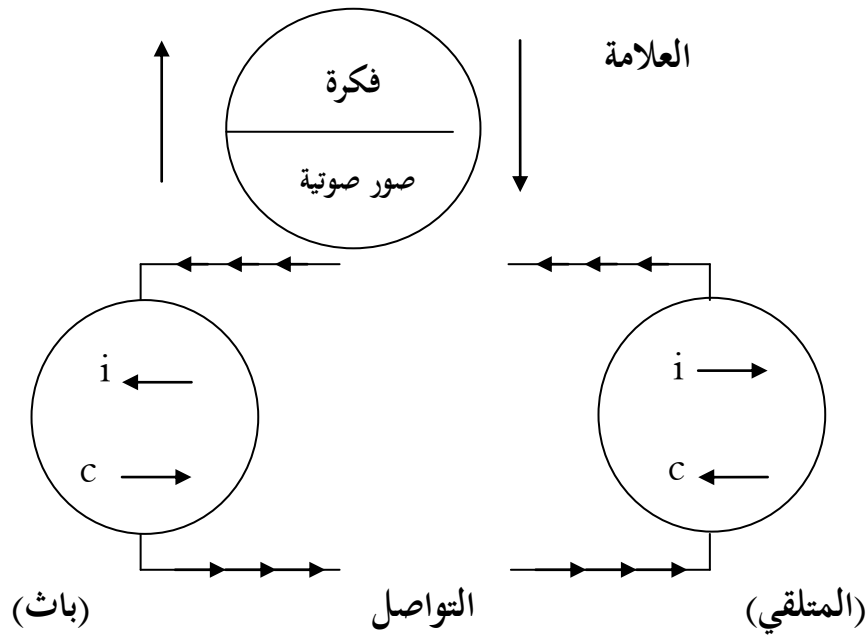
<sup>3</sup> المرجع السابق، ص 183.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 10

لمفهوم القيمة بالعلاقة المتبادلة بين قطع الشطرنج، " فقوانين اللعبة تقول أن كل تغيير في عنصر معين يؤدي إلى تغيير في النظام ككل".<sup>1</sup>

لقد تبنت اللسانيات البنيوية فيما بعد مفهوم القيمة السوسيري، حيث أن ما وجد من فكرة أو مادة صوتية في الدليل هو أقل قيمة بالمقارنة مع ما يحيط به من دلائل أخرى، وأكد مفهوم القيمة حضوره \_ كما يؤكد "أنور المرتجي" \_ في مجالات بعيدة عن اللسانيات، كما هو الشأن عند "ليفي شتراوس" في دراسته لنظام القرابة.

وانطلاقاً من مفهوم القيمة عند "دي سوسير" انتقل إلى فكرة أساسية أخرى من أفكاره، كانت لها إسهاماتها في تشكيل علم السيميولوجيا، وهي العلامة اللغوية، فاللغة لدى "دي سوسير" عبارة عن "مستودع من العلامات والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، وتضم جانبين أساسيين هما الدال والمدلول".<sup>2</sup> والشكل الآتي يبين العلامة ودورها في العملية التواصلية من منظور "دي سوسير":



$$i = \text{فكرة} = c = \text{صورة صوتية}$$

(<sup>1</sup>) أنور المرتجي، سيميائيات النص الأدبي، ص 10.

(<sup>2</sup>) ينظر المرجع نفسه، ص 10

إنّ "دي سوسير" يرى التّواصل ضرباً من الحدث الاجتماعي الملاحظ في فعل الكلام، كما تقوم نظريته نتيجة لذلك على وجود شخصين اثنين على الأقل (باث ومتلقي)، والفكرة هنا "المدلول" أمّا الصورة الصوتية فهي "الدال" وكان هذا المفهوم وكان هذا المفهوم أساساً قامت عليه البنية الألسنية.

كما ينبغي الإشارة أنّ "دي سوسير" وفي مرحلة أولى من أبحاثه أثناء حديثه عن الدليل اللساني، قال بأنه يجمع بين متصور ذهني وصورة أكوستيكية، وفي مرحلة ثانية تخلى عن هذين المصطلحين اللذين لهما صدى نفسي كبير، وفضل الاحتفاظ بكلمة "دليل" للدلالة على المجموع واستبدل المتصور الذهني بالمدلول والصورة الأكوستيكية بالدال.<sup>1</sup>

وقد تبني جميع اللسانيين والسيمولوجيين الذين جاءوا بعد "دي سوسير" مفهومه للدليل، وأصبح ذا قيمة علمية كبيرة \_ كما تؤكد "دليلا مرسلي" وإن كان هناك من أدخل عليه تعديلاً مثل "بارث" و "لاكان"، اللذين أخذوا برفض فكرة وجود ارتباط ثابت بين الدال والمدلول، وقدموا حجتهم على ذلك بكون "الإشارات تعوم ساجحة لتغري المدلولات إليها لتنبثق معها، وتصبح جميعاً دوالاً أخرى ثانوية متضاعفة لتجلب إليها مدلولات مركبة،<sup>2</sup> وقد انطلق هذا التعديل من مفهوم "دي سوسير" الذي ركز على نظرة أراد من خلالها أن يجعل أبحاثه ذات علمية وموضوعية أكثر، ليقول أصحاب هذا التعديل أنه من الصعب جداً إيجاد علمية بهذه الدرجة في الأبحاث اللغوية والأدبية، كما أن العلاقة الجامعة بين الدال والمدلول عند "دي سوسير" علاقة اصطلاحية عرفية، يقول في هذا الشأن وبعبارة واضحة صريحة "إنّ الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول رابط اعتباري، أو بعبارة أخرى، وبما أننا نعني بكلمة "دليل" المجموع الناتج عن الجمع بين الدال والمدلول يمكننا أن نقول بصورة أبسط: إنّ الدليل اللغوي اعتباري"<sup>2</sup>. وقد قدّم "دي سوسير" أمثلة كثيرة توضح هذا الرأي كاختلاف اللغات،

(1) دليلا مرسلي، مفاهيم أولية عن السيمولوجيا، مدخل إلى السيمولوجيا (نص-صورة) ص 12-13

(2) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الفلسفة العامة، ص 112.

حيث نجد المدلول الواحد يعبر عنه بدوال عديدة في لغات متميزة. فالاعتباطية السوسيرية إنما هي قائمة على العلاقة بين الدال والمدلول، وهذا ما يعاب في هذه الفكرة، فهذا "إميل بنفينيست" يوافق على نظرية طبيعة العلامة اللغوية بأكملها، لكنه يريد أن يقوي من عنصرها بشأن مسألة يعتقد أنّ "دي سوسير" خانته الصلابة والتماسك في معالجتها، وهي أن الاعتباط يقع بين العلامة (دالا ومدلولاً)، والشيء الذي تعنيه وليس بين الدال والمدلول<sup>1</sup>.

ولكن مهما قيل عن مفهوم الإعتباطية عند "دي سوسير"، وما نتج عنه من انطلاق قيد الإشارة، فإنّه يقوم كأخطر ما قدمته السيميولوجيا، حيث يتأسس عنه مبدأ القراءة السيميولوجية للنص التي تقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرة، لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فاعلية قرائية إبداعية، تعتمد على الطاقة التخيلية للإشارة في بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ هو صانع النص<sup>2</sup>.

توجد كذلك أفكار كثيرة جدا جاء بها "دي سوسير" في دراساته اللغوية، وتبنتها الدراسات السيميولوجية فيما بعد خاصة مبدأ الثنائيات الذي قام عليه الدرس اللغوي الحديث، ونقلته كل المدارس النقدية الحديثة.

ولعلّ أهم ما يميز المشروع السيميولوجي عند "دي سوسير" هو تأكيده على البعد الاجتماعي للدليل، والذي كان صريحا وجليا في تأكيده على أن الدلائل تعبر عن أفكار، وكذلك ما يمكن ملاحظته على أفكاره السيميولوجية تأكيده على قضية القصدية، وإرادة التواصل، حيث ركز عليهما في معالجته لمسألة الدليل أما البعد النفسي الذي كان حاضرا في تعريفه للدليل، فقد طبع أعماله كلها، وجعل "مونان" يعتبره رجلا يمثل عصره، ولا ننسى قضية النظام التي جعلها محور أبحاثه اللغوية، فهي أهم ميزة على الإطلاق ميزت مشروعه السيميائي والتي تبنّاها كل من جاؤوا بعده.

(1) عصام خلف كامل، الإتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص39.

(2) عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (النبوية-السيميائية-التفكيك) ص78.

في الأخير، يمكن القول أنّ مشروع "دي سوسير" السيميولوجي إنّما هو مستمد من دراساته اللغوية، التي كانت الأساس في بلورة أغلب المفاهيم السيميولوجية وحتى التفكيكية وغيرها من المدارس الحدائثة الأخرى، فاللسانيات هي المنطق الوحيد لهذه المدارس التي رأت في النتائج التي توصلت إليها ألسنية "دي سوسير" الأمل الذي لا بد من الوصول إليه.

## المحاضرة السادسة:

### العلامة في فكر إمبرتو إيكو

"أمبرتو إيكو" (1932م \_ 2016م) روائي وناقد وباحث في القرون الوسطى أشهر مؤلفاته "اسم الوردة"، "العلامة تحليل المفهوم وتاريخه"، "السيمائية وفلسفة اللغة"، "التأويل بين السيميائيات والتفكيكية" ورواية "مقبرة براغ"، و"عُدَّ" "أمبرتو إيكو" من أقطاب مؤسسي "علم العلامات" أو السيميائية، حيث كان له دورا مهما في ترسيخها على نطاق واسع في الساحة النقدية والأدبية، وقد استطاع إعادة صياغة مجموعة من الإشكالات الخاصة بقضايا تأويل النص الأدبي، وقدم في هذا الشأن مجموعة من الدراسات المتميزة. كان كتابه "التأويل والتأويل المضاعف" دعامة في ذلك وزاده المعرفة الجديدة التي جاءت بها السيميائيات وأشاعتها من خلال نماذجها الراقية.<sup>1</sup>

وفي محاضرتنا هذه سنركز على بعض أبواب وفصول ثلاثة كتب وهي: "التأويل بين السيميائيات والتفكيكية وهو في الأصل عبارة عن محاضرات كان "إيكو" قد ألقاها في جامعة "بال" سنة 1992م بالولايات المتحدة الأمريكية، وقامت دار المطبوعات الجامعية الفرنسية بنشره سنة 1996م.<sup>2</sup>

أمّا الثاني فهو "السيمائية وفلسفة اللغة" ويضم خمسة أبواب. وهي على الترتيب: (العلامة والاستدلال) القاموس مقابل الموسوعة، الاستعارة وتوليد الدلالة، الصيغة الرمزية، عائلة السنن. وحاول مناقشة هذه المفاهيم من خلال استقراء البعد التاريخي والنظري لها كما خصّ النقاش والحديث حول السيميائيات الخصوصية، متمثلة بعلم العلامات مبتعدا عن السيميائية التطبيقية، وفلسفة اللغة في نظره لا تقتصر على التأمل والدراسة من المنظور

(<sup>1</sup>) أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، العرب 2004، ص 09.

(<sup>2</sup>) ينظر المرجع نفسه ص 11.



الصوري ومنطق اللغات وعلم الدلالة والنحو والتداولية فحسب، بل يتعدى ذلك في فهم وإدراك أنظمة العلامات السيميائية، فتأويل العلامة ليس بالبساطة التي يمكن أن نتصورها، وقراءة العلامات تتوقف على رؤية الفرد للكون المحيط به وعلى تجربته الحياتية ودرايته، فالعلامات رهينة السياق والمقام الذي أدرجت فيه.<sup>1</sup>

أمّا الكتاب الثالث فهو موسوم بـ "العلامة تحليل المفهوم وتاريخه" ترجمة "سعيد بنكراد" ومراجعة لـ "سعيد الغانمي"، أُصدر سنة 1973، و يهتمّ بالبحث في التراث السلوكي والذهني الذي خلقه الإنسان عن الأسس الفلسفية التي تحدد كنية العلامة، باعتبارها الكنية الأساس في سيرورة السميوزيس وضمّ الكتاب خمسة فصول السيرورة السيميائية، تضييق العلامات، المقاربة البنيوية، أنماط الإنتاج السيميائي والقضايا الفلسفية للعلامة.

### 1. العلامة والتأويل: (التأويل بين السيميائية والتفكيكية)

يرى "إيكو" أن "كل علامة تحيل إلى علامة أخرى" وفق مبدأ المتصل الذي يحكم الكون الإنساني، وانطلاقاً من تعريف "بيرس" للعلامة. إن العلامة شيء تفيد معرفته معرفة شيء آخر، يرى "إيكو" أن المعرفة المضافة (بالمعنى البيروسي) تدل على الانتقال من مؤؤل إلى آخر يكسب العلامة تحديدات أكثر اتساعاً سواء كان ذلك على مستوى التقرير أو على مستوى الإيجاء.<sup>2</sup>

وتتقاطع أفكار "إيكو" مع الفكر "البيروسي" وخاصة في مسألة "السيميوزيس"، والتي تعني في أبسط تعاريفها "السيرورة التي يشتغل بموجبها شيء ما باعتباره علامة" أي كما سبق وأشارنا، دلالات متناسلة وغير منتهية يحركها اشتغال عناصر ثلاثة هي "الممثل" و"الموضوع"

(<sup>1</sup>) ينظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة ط1، بيروت لبنان، 2005 ص29.

\* التقرير: تعبير (علاقة) مضمون ويرمز لها بت ع م .

الإيجاء: (تعبير علاقة مضمون) علاقة\_مضمون ويرمز لها ب(ت ع م) ع م.

(<sup>2</sup>) إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ص120.

و"المؤول"، إلا أنّ "إيكو" قد ربط سيميوزيس بمصطلح الهرمسية، والخاصية الرئيسية للمتاهة الهرمسية هي قدرتها على الانتقال من مدلول إلى آخر، والسيميوزيس الهرمسية كما أشار "إيكو" تبحث في كل نص عن امتلاك المدلول لا غيابه، وإنّ مدلول نص ما في نظره قضية لا أهمية لها كما أن المدلول النهائي سرّ يستعصي على الإدراك.<sup>1</sup>

وتوصّل "إيكو" إلى أن السيميوزيس الهرمسية تحيل إلى السيميوزيس اللامتناهية كما صاغها "بيرس"، وخاصة حينما يتحدث عن المتاهة التأويلية اللامتناهية، فالسيرورة التأويلية تنتهي في مرحلة إلى إنتاج معرفة خاصة بمضمون "الممثل" أرقى من تلك التي شكلت نقطة انطلاق هاته السيرورة ومن خلال رؤيته الفلسفية يتحدث "إيكو" عن مصدر المعرفة فبقول "العلامة" تحتوي أو تشير إلى مجمل مكوناتها الأكثر إيغالا في القدم، إلا أنّ معرفة هذه المكونات هي مجرد احتمال سيميوزيسي لا يمكن أن يتحقق إلا ضمن سياق محدد أو من زاوية بعينها، فالسيميوزيس لا متناهية في المطلق، إلا أن غاياتنا المعرفية تقوم بتأطير وتنظيم وتكثيف هذه السلسلة غير المحدودة من الإمكانيات، فمع السيرورة السيميوزيسية ينصب اهتمامنا على معرفة ما هو أساس داخل كون خطابي محدد".<sup>2</sup>

## 2. العلامة والإستدلال (السيميائية وفلسفة اللغة)

استهل "إيكو" حديثه في الباب الأول من الكتاب بعنوان: "موت العلامة" فقد شهد القرن الماضي أن السيميائية قد فرضت وجودها باعتبارها اختصاص من الاختصاصات، لكن سرعان ما بدأ يلوح في الأفق أزمة تنذر بموت العلامات.<sup>3</sup>

وانتقد "إيكو" محاولات "لومبار" و"بيرس"، و"يلمسيلف" وكل النقاشات التي أتت على شكل تلميحات المتناثرة ذات طابع أشمل، ولم يسلم "لوك" و"سوسير" من انتقادات

\* نسبة إلى هرمس، وهو اله اغريقي متعدد الوظائف، ويرمز إلى المعرفة الكلية والتأويل الشامل.

<sup>(1)</sup> إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص119.

<sup>(2)</sup> ينظر، المرجع نفسه ص121.

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص42

"إيكو" بالرغم من شهادات كثيرة تقرّ أنّ "دي سوسير" هو الأول من وضع الأساس لهذا العلم، ويعزو السبب في ذلك من منظور "إيكو" أن نظرية العلامة لم تحظ باهتمام داخل النقاشات الفلسفية؛ أي حين يطلع الباحث على محاولات السيميائيين المعاصرين يجدهم قد غيّبوا الأسس الفلسفية.<sup>1</sup> ويتحدث "إيكو" عن استعمال مفهوم العلامة نظرا لإصرار الاستعمال اليومي للغة وذلك في ظل الإخفاقات التي شهدتها، ومن علامات الإصرار:

### 1. استدالات طبيعية:

ما يبدو مميزا لهذا الصنف الأول من العلامات هو علاقة "القيام المقام" التي تتركز على آلية الاستدلال، إذا كان لون الشفق في السماء أحمر، فهناك أمل أن يكون طقس الغد أجمل.<sup>2</sup> ويسجل حضور هذه العلامة كذلك في الأغراض الطبية أو معالم الجريمة، إذن العلامة تحمل دلالة أو إحالة إلى شيء قد يكون ظاهرا، وقد يختفي جزء منه، فتأتي العلامة لترشدنا للوصول إليه.

### • معادلات اعتباطية:

يرى "إيكو" أنّ اللغة العادية تحدد صنفا آخر من العلامات، ويضرب أمثلة كثيرة: الإشارة بالتحية والقصد منها الرغبة في التواصل، كذلك عبارة (Sign) فإنّها توحى بحركات البكم، معبر عنها بلغة الإشارات ولا توحى بالتعبير اللغوية،<sup>3</sup> وما يميز في هذه العلامات أنّها قامت على علاقة اعتباطية نتيجة التواطؤ الاجتماعي أو ما يعرف بـ"السنن" عند إيكو، ويتفق عليها الجميع وهذا ما يسميه "إيكو" التكافؤ أو التساوي في معرفة دلالة العلامة المسننة اجتماعيا.

### • رسوم بيانية:

(1) ينظر، المصدر السابق، ص45

(2) ينظر: إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص:47

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص:49

يجعل "إيكو" الرسوم البيانية اعتباطية كذلك مثل الصنف الثاني، إلا أنها تخضع للتنوع في التعبيرات التي من نشأتها أن تحدث تغييرا في المضمون عكس علامات الاعتباطية، فمثلا كلمة "امرأة" لو كتبناها باللون الأحمر أو نطقناها بلهجة محلية فإن الاختلاف في التعبير لا يغيّر في فهم المضمون، أما إذا تعلق الأمر بالرسم البياني فإنّ أي تغيير أو تعديل يغير المضمون مثل الخرائط الطبوغرافية، لذا يصنّفها "إيكو" على أنّها "أيقونة"<sup>1</sup>.

#### • رسوم:

الرّسم عند "إيكو" علامة ناتجة عن نسخ الأشياء بطريقة بصرية كرسّم الحيوان للتعبير عن مضمون يشير إليه، وتختلف هذه العلامات عن الصنف الثالث، هو أنّ الرّسم البياني أكثر تلقائية (مباشر يصور أشياء ملموسة كما أنّه يتبع قواعد دقيقة في الإنتاج)<sup>2</sup>.

#### • شعارات:

هي علامات معبّرة في تصور "إيكو" لأنّها تدل على شيء ما، فالمنجل هو شعار الشيوعية، والصليب المسيحية، والهلال هو شعار الإسلام، فهذه الرسوم أيقونية مثل الصنف الثالث لأنّها تعتمد على الرؤية البصرية لكنها تختلف من حيث طرق التعبير، فالرسم البياني يخضع للاستعمال وفق قواعد، أمّا الشعارات كعلامات فتخيل على مجال معيّن من المدلولات غير محددة.<sup>3</sup>

#### • أهداف:

يمكن أن نعتبر العلامة هدفا وموجّها في نفس الوقت حسب رأي "إيكو"، وهذا الصنف من العلامات لم يعد يقوم مقام شيء آخر فحسب، بل يوجّه الشيء نحو الهدف

(1) ينظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص: 47

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص: 50

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص: 51

الذي سيكون عليه حتى يحقق الهدف من وجوده، وبهذا المعنى تصبح نجمة بالنسبة إلى الملاح علامة هدف/موجه.<sup>1</sup>

• **المفهوم والماصدق:** من خلال ثنائية المفهوم والماصدق يطرح "إيكو" جملة من الأسئلة: هل العلامة هي الحدث الملموس أم الصورة المجردة؟ هل هي الإنجاز الصوتي ل(ق ط ط) أم النموذج المعجمي (ق ط)، أي أي شيء يمثل في النصف (المفهوم) أم أنه شيء يصدق على الأشياء في الكون (الماصدق). أين يتم إنتاج الدلالة أعلى مستوى المفاهيم أم على مستوى الماصدق، إذن لا داع (للمفهوم) مادام (الماصدق) حاضر. وهنا تبرز مسألة موت العلامة التي أعلن عنها "إيكو" وهذه المسألة تطرح مشكلة كيفية اشتغال عمليات الدلالة.<sup>2</sup>

#### • الحلول المتملصة:

أشار "إيكو" إلى أنّ البعض يؤكد أن لفظ العلامة يتناسب مع حد لغوي متفق عليه، أما الظواهر التي لا يمكن أن تخضع لنظام المقولات اللغوية لا يمكن أن تعوض العلامات، لأنها ليست علامات، إنما هي أعراض ومقدمات لاستدلالات محتملة تدرس من قبل علم آخر قد يكون أشمل من اللسانيات.<sup>3</sup> وقد تبوّأ "إيكو" طرح "بيرس" إلى حد ما نظرا لكونه ملائما. لأن العلامة في نظر بيرس تحيل على شيء يوجد خارجها.

#### • السيرورة السيميائية (العلامة تحليل المفهوم وتاريخه):

تستخدم العلامة من اجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما، وبالتالي فهي جزء من سيرورة تواصلية في نظر "إيكو"، وتستحضر خطاطات التواصل التي بلورها مهندسو الإتصالات حينما حددوا الشروط الأساسية لتبليغ المعلومات:

مصدر \_ باث \_ قناة \_ إرسالية \_ مرسل إليه

<sup>(1)</sup> ينظر: المصدر السابق، ص: 51

<sup>(2)</sup> إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص: 54.

<sup>(3)</sup> ينظر: المصدر نفسه، ص: 55

إن العلامة وفق المخطط الذي تبناه "إيكو" تعادل الإرسالية لكن المخطط لا يجيب عن قضايا من نوع هل تشكل الإرسالية البث الصوتي ذاته أم مدلول هذا البحث؟  
\_ يلح "إيكو" على توفر السنن المشترك بين الباث والمتلقي، وهي مجموعة من القواعد التي تمكننا من إعطاء معنى للعلامة، والسنن كما يرى "أمبرتو" يرسى قاعدة تسند إلى عرف والأخير ليس مرادفا للإعتباطية. والسنن موجودة حتى وإن كان وجوده غير محدد المعالم أو غير تام (إذا كان يربط مجموعة من الدوال فقط مع أجزاء من المضامين عاملا وقابلة للتجزئة) أو عرضيا (إذا كان بالإمكان استبداله بسرعة بسنن أخرى أو متناقضا (إذا كان يعد جزءا من نسق فرعي يمنح لدال ما مدلولاً يفنده مدلول آخر مصدره سنن آخر من نفس النسق الفرعي).

\_ لا ينجح الإبلاغ أو يصعب في حال ضعف السنن الخاصة بهذه العلامات.  
\_ السيورة الإبلاغية التي تستند إلى سنن وخالية من كل دلالة، ستكون مجرد مثير \_ استجابة لأن المثير لا يعوّض شيئا آخر. والمبشرات ليست كافية لمنح العلامة أبسط تعاريفها، فمثلا الضوء الذي يجبر على إغماض العينين مختلف عن أمر يجبر على إغماضها ففي الحالة الأولى تغمض العين دون تفكير أما في الثانية يفهم الأمر أولا أي أن يفك التسنين (سيورة سيميائية) وبعد ذلك يقرر عصيان الأمر أو طاعته.

إنّ العلامة في فكر "أمبرتو إيكو" تقوم بدور الوسيط بين الإنسان وعالمه الخارجي، أو كما عبّر هي الأداة التي من خلالها تأنسن الإنسان وانفلت من ريقه الطبيعة ليلج عالم الثقافة الرحب الذي يسميه طاقات تعبيرية هائلة، وقد تجاوز "إيكو" تصورات "دي سوسير"، فطرحة كان شموليا وعميقا، والسيميائية ليست نظرية وحسب، وإنما هي ممارسة دائمة التي لا تجد تعبيرها إلا في "السيميوزيس".

## المحاضرة السابعة:

### سيمياء الشعر:

كثيرا ما يسأل الطلبة: "كيف نقرأ النص قراءة سيميائية؟" أو "كيف نحلل النص تحليلا سيميائيا؟".

قبل أن نجيب عن السؤال علينا أن ننتبه إلى إشكالية طرحها النقد النصاني في عملية المقاربة، وهي انعدام المشاركة التواصلية الفعالة بين النص والقارئ (المتلقي)، فالفهم الحقيقي للعمل الأدبي \_ كما أشارت نظرية القراءة والتلقي \_ يتوقف على التموقع الحقيقي للمتلقي في مكانه، باعتبار أن للعمل الأدبي في النص \_ كما ذكر "أيزر" \_ قطبان الأول فني الذي يكمن في النص من خلال البناء اللغوي وما يحمله من دلالات بغية إيصالها للقارئ بجمولات معرفية وإيدولوجية، والثاني "جمالي"، ويكمن في عملية القراءة التي تخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملموسة، فيتحقق النص بصريا وذهنيا عبر استيعابه وفهمه وتأويله،<sup>1</sup> ويقوم التأويل بدور مهم في استخلاص صورة المعنى المتخيل عبر سير أغوار النص واستكناه دلالاته، والبحث عن المعاني الخفية والواضحة عبر ملئ البياضات والفراغات للحصول على مقصود النص وتأويله انطلاقا من تجربة القارئ الخيالية والواقعية".<sup>2</sup>

وعملية القراءة تتوقف على مراعاة القارئ طبيعة النصوص، فالنصوص الأدبية القديمة أو الكلاسيكية تختلف عما يبدعه الأدباء والكتّاب في عصرنا الحالي، فالقارئ الذي تعود على قراءة الروايات الكلاسيكية سيعجز عن قراءة الروايات الحديثة والعكس صحيح، فعلى القارئ أن يكون مسلحا بالقواعد والأطر والآليات حتى يستجيب النص لمعاييرته الفنية والجمالية.

(1) فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، ترجمة حميد حميداني وجيالالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس\_المغرب، 1995، ص:12

(2) ينظر: رضا عمر، محمد خاقاني، آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكاليته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، 2010، ص:75

ولكن هل التموقع الحقيقي لوحده داخل النص كافٍ لتحليله سيميائياً؟ لعلّ الإجابة نجدّها عند النقاد الذين خاضوا مغامرة السيميائية أمثال "عبد المالك مرتاض"، "محمد مفتاح" و"عبد القادر فيدوح"، فالأول يرى أنه بإمكان أن يتحلل القارئ من التموقع للانتشار خارج فضاء النص من أجل إشباعه بالتحليل، لأنّه لا يمكن لمنهج معيّن الإحاطة به لذلك لا بدّ من تركيب منهجي دون الوقوع في التلفيقية، فلا البنيوية ولا الأسلوبية ولا السيميائية وحدها قادرة بأدواتها التقنية وإجراءاتها المنهجية على الإحاطة بالنص.<sup>1</sup>

أمّا "محمد مفتاح" فقد أدرك أنّ أية مدرسة لم توفّق إلى الآن في صياغة نظرة شاملة، وإمّا كل ما نجدّه هو بعض المبادئ الجزئية والنسبية التي أضاعت جوانب وبقيت أخرى مظلمة.<sup>2</sup>

وحتى الناقد "عبد القادر فيدوح" لم يتقيد هو الآخر بمفهومات إجرائية محددة أو بأدوات محددة لمدرسة معينة، فالمغامرة السيميائية في محاورتها فك رموز الخطاب \_في رأيه\_ هي طموح إلى هدم الجدارية المعيارية الثابتة، ونفي التوثيقية والنزوع إلى تفكيك النص وتشريحه وفق أدوات إجرائية تستند إلى رصيد معرفي وخبرات قرائية متنوعة.<sup>3</sup>

نفهم من النصوص السابقة أنّ النص هو الذي يحتم الرجوع إلى خارجه أو إلى الانتشار كما أشار "مرتاض"، لأنّ الانطلاقة تكون من النص وليس من مفهومات مسبقة.

كما أنّ القراءة الصحيحة تتطلب استنتاجاً صحيحاً من القارئ لمعاني النصوص، وهذا الاستنتاج لا يأتي إلا بفحص دقيق للكلمات التي تتكون منها وفحص كافة البنى فيها.

(1) ينظر: عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، دار الكتاب الغربي، الجزائر، 2001، ص: 10.

(2) ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (ط3)، 1992، ص: 7.

(3) ينظر: عبد القادر فيدوح، ضمير الشعر الجزائري والتساؤل التأويلي، مقارنة سيميائية لنص قصيدة، مجلة الحداثة، العدد الثاني، جامعة

وهران، 1993، ص: 55.



## 2. آليات التحليل السيميائي للنص الشعري:

إنّ إقدام القارئ على مقارنة أو تحليل نص شعري في ضوء هذا المنهج النصّاني يجعل القارئ يتكئ على تجارب سابقه، وأقصد هنا تجارب الذين خاضوا مغامرة السيميائية في تحليل النص الشعري سواء كانت هذه التجارب غربية أو عربية، وأول شيء يأخذه في الحسبان هو أنّه أمام بنية عضوية، أي ستنصب اهتماماته بداخلات النص، وسيركز على البنية السطحية والبنية العميقة، والنظام والعلاقات، وأن يتجاوز في دراسته الجملة من حيث تكوينها وإنتاجها، ويركز على بناء الخطابات والنصوص وإنتاجها.<sup>1</sup>

فالقارئ أمام نص بنيته السطحية والعميقة وهي محكمة التركيب، والأمر يتطلب كما يرى "محمد عزام" أن يقرأ باطن النص مثلما ظاهره، وذلك كي يتمكن من تخيله ومن ثمّ تفسيره تفسيراً سيميولوجياً إبداعياً، وهي مهارة يكتسبها القارئ الموهوب بعد مران طويل.<sup>2</sup> وعلى القارئ أن يركز على عنصر اللغة بالدرجة الأولى، فهي نموذج للسيميولوجيا إذ هي التي تمدنا بالمعاني والمدلولات، "فاللغة مكون للسيميولوجيا إذ مستحيل بناؤها ما لم تكن اللغة عنصراً بنائياً فيها".<sup>3</sup>

إنّ التفكيك والتركيب آليتان تفرضهما اللغة الشعرية على القارئ لأنه أمام وسائط فنية كما يقول "حنون مبارك"،<sup>4</sup> وهذه الوسائط تحمل خصائص متضاربة وممتزجة، فلا تتبين خصيصة من سواها إلا بعد جهد تفكيكي تركيبى خاص. وبإمكاننا أن نرصد بعض الآليات الإجرائية من خلال مقاربات نقدية خاض أصحابها التجربة السيميائية:

— تقسيم النص إلى وحدات معنوية قرائية دالة (قد تكون الوحدة فيها كلمة، أو عبارة أو عنواناً أو عدة جمل)، ثم تناقش كل وحدة قرائية على حدة، لا يظهر ما فيها من تضاد

(1) ينظر: عصام حلف كامل، الإتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص: 43

(2) محمد عزام، النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1996، ص: 41

(3) ينظر: عصام حلف كامل، الإتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص: 50

(4) حنون مبارك، دروس في السيميائيات، ص: 75

وتنص وتكرار، وهذه الطريقة في تحليل النص الشعري اتفق عليها كل من "بارت" و"غريماس"<sup>1</sup> وقد فرضها العديد من النقاد السيميائيين من خلال مقاربتهم للنص الشعري نذكر منهم الناقد "محمد عزام" الذي ركز على مستويات ومكونات الخطاب الشعري المتمثلة في:

### المستوى المعجمي

### المستوى الصوتي

### المستوى المعنوي

### المستوى التركيبي

وهذه الطريقة اعتمدها كذلك "عبد القادر فيدوح" حينما راح يقطع نصّ "بكر بن حمّاد التيهري"، ومحاولة منه في مقارنة نص قديم في ضوء أساليب وأدوات حديثة، وهي محاولة أيضا لمقاربة تصب في قالب القراءة التأويلية، وبحث في كل مقطع عن العلاقة بين الشاعر ونفسه، والشاعر والآخر أو بين القاصد والمقصود وما يجمعهما من قرائن يستخلصها من المقطع، ثم يدرس التراكيب النحوية والبلاغية، كتقابل الجمل والألفاظ وتشاكلها وبنية التشابه (الاستعارة)، إلى أن يصل إلى الإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي وبعده الجمالي والدلالي.<sup>2</sup>

ـ التحليل انطلاقا من الشكل: أغلب ملامح هذه الطريقة موجودة في "سيميولوجيا الدلالة" كما حدّدها "رولان بارت"، وتركز على الشكل أكثر ما تركز على المضمون، وفيها يعتمد الشاعر إلى نقد الجملة (التركيب النحوي والبلاغي وعلاج المواد الصوتية (الإيقاع والوزن والقافية).

وتظهر هذه الطريقة عند "محمد سرغيني" الذي اعتمد "النظرية البارتيّة" كما استعان بـ"عناصر سيميولوجيا مولينو"، فاستقامت محاور الدراسة على مستويات ثلاثة:

### المستوى الشعري - المستوى الحسي - المستوى المعنوي

<sup>1</sup> ينظر: عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص: 134.

<sup>2</sup> عبد القادر فيدوح، ضمير الشعر الجزائري والتساؤل التأويلي، مقارنة سيميائية لنص قديم، ص: 57 إلى 73.

وتجربة أخرى متميزة قام بها الباحث "مختار حبار" لمقاربة نص شعري صوفي، وهي تختلف عن التجارب السابقة، إذ يحاول الباحث فيها استحضار من التراث ما يوافق النظرية الحديثة، ويقع اختياره على "عبد القاهر الجرجاني" وكتابه "الدلائل" و"الأسرار"، فيجده في تحليلاته غالبا ما يركز على مستويين: نحوي تركيبى، قد تكون العلاقة الإسنادية فيه بين العلامات علاقة تآلفية، وقد تكون علاقة تخالفية ومستوى معجمي قد تكون العلاقة النسقية فيه علاقة تآلفية، وقد تكون علاقة تخالفية، فإذا كانت العلاقة في المستويين النحوي والمعجمي أو في أحدهما علاقة تآلفية كانت العلامات عندئذ تقوم غالبا بوظيفة حقيقية وتواصلية، وإذا كانت تلك العلاقة تخالفية، كانت العلامات عندئذ تقوم غالبا بوظيفة مجازية، وحينئذ لا ينبغي للقارئ أن يقف عند حدود المفهومات السطحية، بل عليه أن يغوص في المفهوم العميق للنص الذي منه تنسج الوحدة العضوية، وأشار الباحث أنّ صاحب الدلائل اكتفى بمستويين في حين أضاف "مايكل ريفاتير" إلى المستويين السابقين مستوى ثالثا هو المستوى الإيقاعي.<sup>1</sup>

خلاصة القول إنّ أولى خطوات التحليل النص الشعري سيميائيا هي التموقع الحقيقي للقارئ (الناقد) في مكانه الحقيقي، وقد يتحتم عليه في بعض الأحيان التحلّل والانتشار خارج النص من أجل إشباعه بالتحليل، وإنّ معظم الآليات الإجرائية والتطبيقية التي يعمدها الناقد في التحليل لا تخرج عن الإطار الذي وضعه السيميائيون أمثال "بارث" و"مولينو" و"غريماس" و"مايكل ريفاتير".

(<sup>1</sup>) ينظر: مختار حبار، سيميائية الخطاب الشعري عند الصوفية، مجلة الحدائث، العدد الثاني، كلية اللغة والأدب العربي، جامعة أحمد بن بلة 1(السانيا سابقا)، وهران، 1993، ص:43.

## المحاضرة الثامنة:

### سيمياء الرواية

تهتم سيمياء السرد بالبحث في المحتوى انطلاقاً من العلاقة السردية للعلامة اللسانية المشكلة من دال (تعبير) ومدلول محتوى، وينصب اهتمام النقاد السيميائيين على المحتوى، من أجل الإمساك بالمعنى أو الدلالة ولا يولون اهتماماً بالمظاهر الأخرى للنص، في المقابل نجد السرديين يركزون على التعبير أو الخطاب الذي من خلاله يتحقق المحتوى، و المحتوى هو البيت القصيد للنقاد السيميائي الذي ينطلق من كون المعنى لا يستنبط من سطح النص وإنما استناداً إلى المسار التوليدي للنظرية السيميائية، وفي هذه المحاضرة سنركز على المسار السردى وتنظيم المحتوى معتمدين في ذلك على النظرية السيميائية التي رسمها "غريماس"، مع إظهار أهمية الزمان والمكان في رسم وتوجيه مسار النص.

#### 1.1 ألخرداس غريماس:

روسي لتواني الأصل، مؤسس السيميائيات البنيوية انطلاقاً من تصورات وأفكار ومبادئ "دي سوسير"، عمل على استثمار أفكاره وجهوده في نظريات وأعمال سابقة، كـ "فلاديمير بروب"، و "ليفي شتراوس"، و "رومان جاكسون"، و "تيسنير" (Tessiere)، و "سوريو" (Souriau).

#### استثماره في اللسانيات "علم اللغة":

أولى "غريماس" اهتماماً كبيراً باللسانيات، فدعى إلى العمل والاستفادة بالمبادئ والأفكار التي نادى بها "دي سوسير"، كما أكد على ضرورتها لأنّ العالم في نظره شبكة من العلاقات، أو بناء لأشكال ذات معنى.

وينطلق "غريماس" من ثنائيات "دي سوسير"، وخاصة "الدال والمدلول" والعلاقة بينهما "هي علاقة اعتباطية"، أي لا وجود لعلاقة طبيعية بينهما ولا يمكن تبريرها منطقياً وعقلياً، وبفضل هذه العلاقة تم تحديد الموضوع الرئيس للسيميائية، فالسيميائية كشق

واستكشاف دائمين، أنها لا تحدد المعنى، لأن المعنى لا موطن له، بل تقتفي آثار السيرورة المنتجة له لأنه ليس كيانا جاهزا بل يخضع في وجوده وتحققه لمجموعة من الشروط حرصت السيميائية على تحديد بعضها.<sup>1</sup>

### استثماره في أعمال "فلاديمير بروب":

دأب "بروب" من خلال مؤلفه "مورفولوجيا القصة" إلى الكشف عن خصائص القصة، وعمل على إظهار القوانين التي تتحكم فيها، وأهل الجانب التاريخي لها الذي يركز على جذورها التاريخية، وراح يركز على مستوى آخر، وهو مستوى الوظائف، وركز في دراسته على التماثل السطحي، لأنه في رأيه هو الوحيد القابل للتصنيف والنمذجة على الرغم من تنوع المتن وتعددده، ولا يمكن فهم أهمية وقيمة سيميولوجيا "غريماس" إلا من خلال فهمنا لكتاب مورفولوجيا الخرافية لـ "فلاديمير بروب".<sup>2</sup>

### أخذه من "كلود ليفي شتراوس":

حاول "لوفي شتراوس" إعادة صياغة تصورات المنهج البروبي، واهتم بمضامين الحكاية التي جعلها "بروب" ثانوية، فهي عند "شتراوس" العمود الفقري للحكاية، وأساس تلوينها الثقافي، فالعناصر المتحولة "الشخصيات" هي التي تحدد القيمة للحكاية.

### تأثره بـ "جاكسون":

إنّ تأثر "غريماس" بـ "جاكسون" بين القسّمات في أعماله، إذ نجده قد استلهم ثنائية العملية الإجرائية، وهذه الثنائية تقرّ بوجود تابل بين علاقيتين: علاقة التناقض وعلاقة التضاد (علاقة الحضور والغياب)، وتقوم هذه الثنائية على مسلمة البستمولوجية هي أن الموجودات تتألف من اثنين.

<sup>(1)</sup> رولان بارت، مبادئ في علم الدلالة، ترجمة شكري البكري، منشورات عيون المقالان، الدار البيضاء، المغرب، ص: 07

<sup>(2)</sup> ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، ص: 18

استفادته من "تسنير" و "سوريو":

لوسيان تيسنير: لغوي فرنسي، صاحب النظرية النحوية البنائية للجملة، ذهب "تيسنير" إلى أنّ الفعل (Verbe) هو القطب الرحي الذي تدور حوله الجملة فهو العنصر الأساس فيها. وبالتالي هو المنظم للعلاقات العاملة، وميّز نوعين منه: الأول أفعال الحدث (الوظيفة) والثاني الحالة (الصفات)، فالعامل هو ذاته تركيبيا الفاعل، وبهذه الرؤية يقسم "تيسنير" الملفوظ على نحو تقسيمه للجملة إلى ثلاث مكونات الفعل، الفاعل، والمفعول به (S.V.C)، وشكّل هذا التصور خلفية أساسية بنى عليها غريماس نظريته العاملة.<sup>1</sup>

**سوريو:** فيلسوف فرنسي، واضع تصنيف منظومة الفنون الجميلة (العمارة الموسيقى، الرسم، النحت، والشعر والرقص). استثمر في المنهج البروي، وحاول تطبيق الوظائف في النصوص المسرحية أو الأدوار التي تقدمها الشخصيات، وانتهى إلى ستة وظائف، موزعة أزواجا، وسّمّاها الوظائف الدرامية: (في كتابه 200 ألف موقف درامي).<sup>2</sup>

البطل / البطل المضاد

الموضوع / المساعد

المرسل / المرسل إليه

وانطلاقا من هذه التصورات صاغ "غريماس" النموذج العملي، حيث استطاع أن يختزن الوظائف التي حددها "بروب" إلى ستة عوامل، واقترح تصورا قوامه ستة فواعل تصلح حسب تصوره لكل أشكال السرد، وتتربط هذه الفواعل حسب "غريماس" وفق ثلاث علاقات: علاقة الرغبة: تجمع بين من يرغب "الذات"، وماهو مرغوب فيه "الموضوع"، ويهيمن على هذا الموضوع صيغة الإرادة.

(1) بادى محمد، سيميائيات مدرسة باريس، مجلة عالم الفكر، العدد 3، المجلة 35 يناير/مارس، 2007، ص:299

(2) عبد المجيد العابد، مباحث في السيميائيات، دار القروين للطباعة، الدار البيضاء، المغرب، (ط1)، 2008، ص:39

**علاقة الصراع:** تكون بين المساعد (مساعد الذات)، والمعارض أو المعيق (الذات)، يهيمن صيغة القدرة.

**علاقة التواصل:** تجمع بين موجه للذات "المرسل"، والموجه إليه، حيث يحاول المرسل إقناع العامل "الذات"، بالحث عن موضوع القيمة، يهيمن على هذا المحور صيغة القدرة. وينتظم هذا النموذج في القصة على أربع مراحل:

#### **المرحلة الأولى (التحفيز):**

هي مرحلة ابتدائية، يقوم عامل الذات بإقناع من قبل المرسل بالحث عن موضوع القيمة. **المرحلة الثانية (القدرة، الكفاءة):**

حتى يتحقق الإقناع لا بد من شروط وهي: كيان إرادة الفعل، القدرة على الفعل، وجود الفعل ومعرفة الفعل.

#### **المرحلة الثالثة (الإنجاز):**

تشكل هذه المرحلة نوعا من التحول لحالة معينة، وتقتضي هذه العملية عاملا Agent هو الفاعل الإجرائي (مساعد)، بحيث يتم الانتقال إلى المحقق وهذا التحقق يتطلب برنامجا سرديا أساسيا، هدفه الحصول على موضوع القيمة سرعان ما يصطدم بفاعل إجرائي مضاد. **المرحلة الرابعة (الجزاء):**

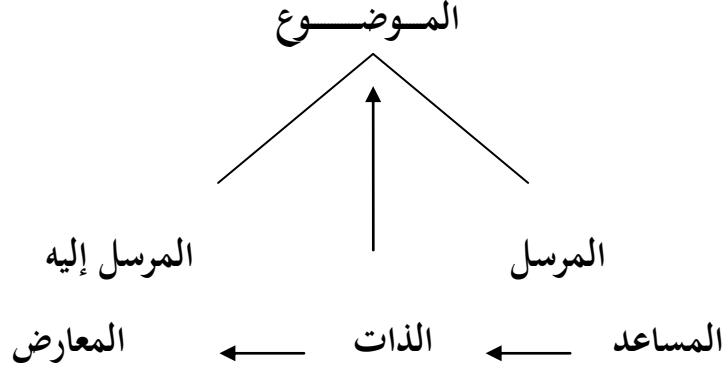
وهي الحكم على الأفعال التي يتم إنجازها من الحالة البدائية إلى الحالة النهائية.

#### **النموذج العملي (الخطاطة السردية):**

يقدم النموذج العملي على ستة عوامل هي (الذات والموضوع)، و(المرسل والمرسل إليه)، و(المساعد والمعارض) وتتخذ هذه العوامل علاقات، فالموضوع بعلاقة اتصال بين المرسل والمرسل إليه برغبة من الذات الحالة، ويتم في النموذج بعلاقة صراع بين المساعد والمعارض.<sup>1</sup>

(<sup>1</sup>) Voir: Aj. Greimas .Sémantique structurale. Larousse ;Paris ;1966 .

ويوضح "ألجيرداس غريماس" تشكيلة النموذج العاملي في المخطط الآتي:



ربط "غريماس" العوامل الستة بثلاثة محاور:

محور الرغبة ————— الذات والموضوع

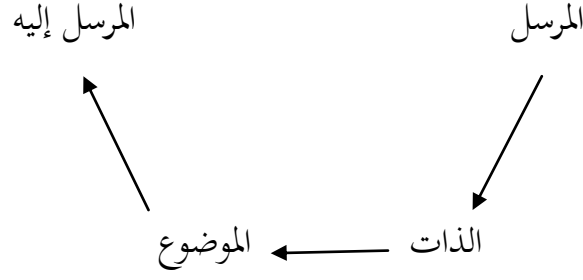
محور التواصل ————— المرسل والمرسل إليه

محور الصراع ————— المساعد والمعارض

- الذات هي التفاعل المباشر الذي يتلقي التحفيز من طرف المرسل ويسعى لتحقيق الشيء المرغوب فيه وهو الموضوع، والذات تكون في حالة وصل أو حالة فصل عن الموضوع وعلاقة بين الذات والموضوع تمر بالضرورة بملفوظ الحالة الذي يجسد الاتصال والانفصال.<sup>1</sup>
- المرسل والمرسل إليه وهي ثنائية تحدد من خلال محور الإبلاغ أو الاتصال فالمرسل هو باعث على الفعل والمرسل إليه هو المستفيد وتفرض على الاتصال رغبة من لدن (ذات الحالة).

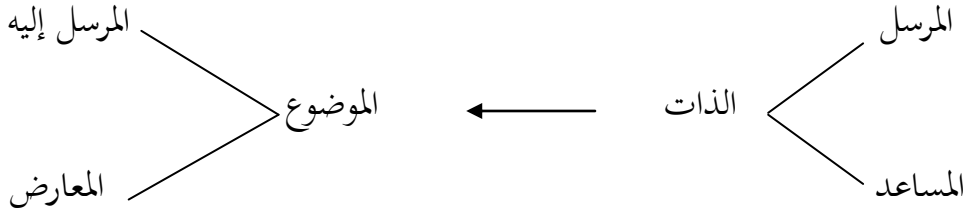
(<sup>1</sup>) ينظر: حميد حمداني، بنية النص السردي من منظور الفقه الأدبي، ص35.





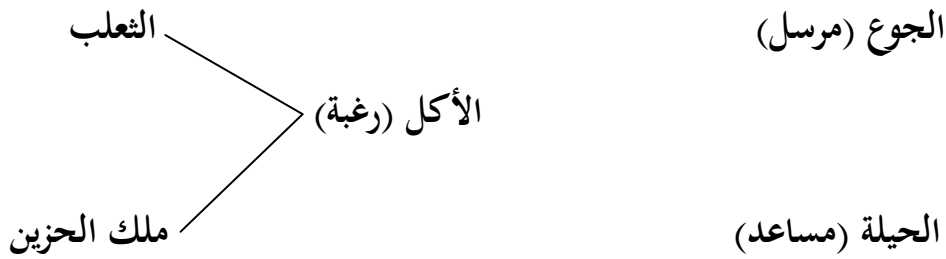
المساعد والمعارض: وتجمعهم علاقة صراع، فالأول يقدم مساعدة بالعمل فيما يعيق الثاني  
 رغبة الأول.

ويضع "جوزيف كرتاس" الخطاطة التي حددها أستاذه "غريماس" على الشكل الآتي:



تطبيق: ( قصة الحمامة والثعلب والملك الحزين)

بالنسبة للثعلب ( حالة البداية) م.ح: ذ ف u م ← م.ج ذ ف 1م



م = ح = ملفوظ الحالة

ذ ف = الذات الفاعلة

u = رمز حالة الانفصال

n = رمز حالة الاتصال

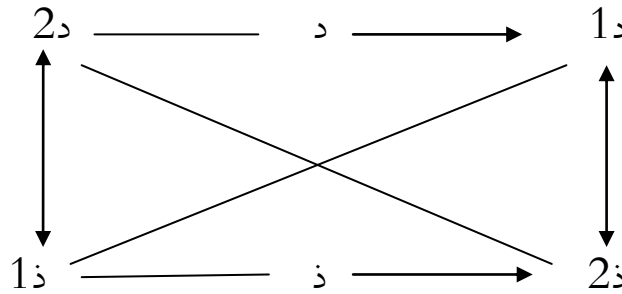
## المربع السيميائي (البنية الدلالية):

يعدّ المربع السيميائي من الإنجازات النظرية المنسوبة إلى "غريماس" مثلما هو الشأن النموذج العاملي، فإن المربع السيميائي " يتبدى في هيئة شبكة تجمع عدة مفاهيم، هو في ذات الوقت تمثل بصري لهذه الشبكة بحيث يتيح لنا تدقيقا في تحليل التقابل بين طرفين ( حياة، موت ) مثلا: من خلال تفرّعه إلى أربعة أطراف ( حياة، لا-حياة، موت، لا-موت) ولقد استند "غريماس" في تأسيسه لمنطق المربع السيميائي إلى الفرضية التالية:<sup>1</sup>

إذا ما اعتبرنا الكون في جملة دالا، فإن نقيضه ( أي غياب الكون) يفضي إلى غياب الدلالة مما يعني أن الدلالة(د) التي تتمظهر على المستوى الدلالي تقف مقابلة لغياب الدلالة(ذ) في علاقة تناقض تجمعها وإذا سلمنا أن المحور الدلالي يتمفصل إلى سيمين متضادين:

د1 ← د2

فإن كل واحد من هذين الاستنتاجين ، يمكن أن نصوغ المربع السيميائي في الشكل التالي:<sup>1</sup>



## التضاد والتناقض في المربع السيميائي

التناقض والتضاد يدخلان في علاقة اقتضاء خفي ثنائية الحياة/الموت. فإذا كان أ=حياة ن لا يمكننا أن نتصور ب=موت دون أن يقتضي ذلك تصور (ب=لا-موت) أو بعبارة أخرى

<sup>(1)</sup> نصر الدين بن عيسى فصول في السيميائيات ، عالم الكتب الحديث، الأردن 2011، ص31.

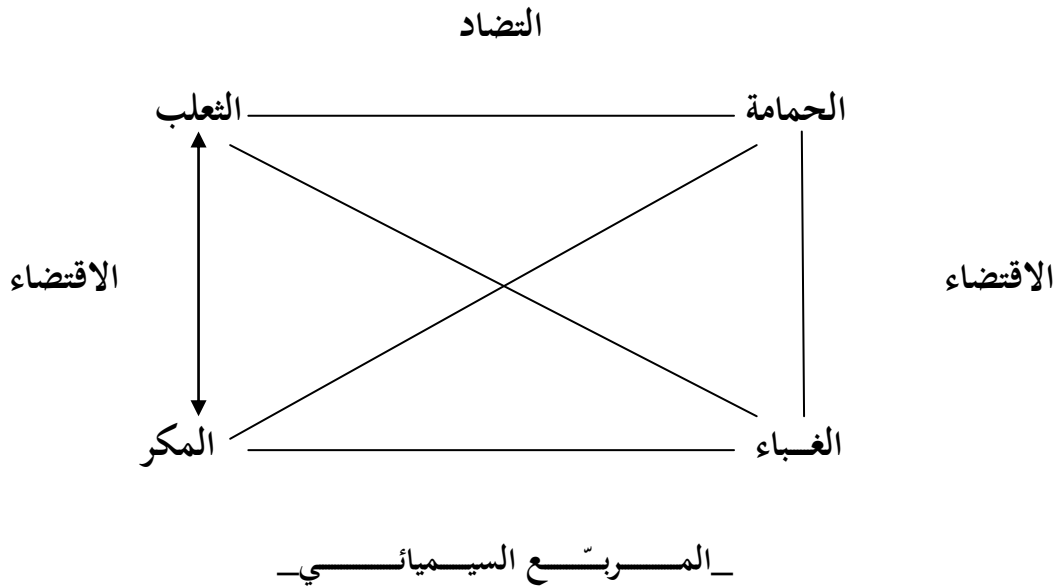
<sup>(1)</sup> المرجع نفسه، ص31.

فالموت لا بد وأن يكون بالضرورة (لا-حياة) وللتوضيح أكثر، فإنّ البنية الأساسية للدلالة لقصة ( الحمامة والثعلب والملك الحزين) تظهر بالشكل الآتي:

لاستعمال المربع السيميائي استعمالا دليلا من الجدير أن تتبع الخطوات الآتية:

- نضع التقابل بين عنصرين وفقا لعلاقة التضاد (الغباء/ المكر)
- استخراج نقيض كل عنصر ( لا غباء- لا مكر)
- صياغة المعادلات التي تأسس من اجتماع طرفين من أطراف المربع (مكر+غباء) ( لا مكر- لا غباء)
- البحث في الخطاب- النص عن حركة أطراف المربع وفق النموذج السردى الذي يقوم على:

وضع أولي ← تحول ← وضع نهائي



سيميائية المكان:

للمكان في السرد دلالات واقعية ورمزية، مما يجعله عنصرا ذا أهمية داخل السرد، وإنّ ولوج عالم الرواية بغية استكشاف معانيها يستدعي حيزا تتحرك فيه الشخصيات، وتؤكد

الدراسات<sup>1</sup> أنّ الكشف عن العلاقات البنيوية العميقة التي توجه النص وترسم مساره يتوقف على البحث في تمفصلات المادة المكانية للسرد أو تمظهراتها السطحية، أي البحث في الوصف الطوبوغرافي لمكان وانتقال الشخصيات داخل المجال المكاني المحدد به. والفضاء المكاني ليس هو المكان الذي تجرى فيه المغامرة المحكية، ولكنه أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها، والمكان منفصل عن الفضاء، والمكان منفصل عن الفضاء، وإنه سبب في وضع الفضاء؛ أي أنّ الفضاء بحاجة على الدوام للمكان، فتعبيرات الفضاء تتميز عن تمظهرات الأمكنة كمساحات ومسافات تبوّبها الأحداث والأفعال الروائية، في حين تلتقط تجليات الفضاء من خلال علائقها بباقي مكونات البنيوية للنص الروائي.<sup>2</sup>

وقسم "غاستون باشلار" المكان إلى أربعة أنواع: المكان المجازي، المكان الهندسي، المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي، المكان المعادي،<sup>3</sup> ولكن هناك الكثير ممن اعترضوا هذا التقسيم، ورأوا أن المكان كله مجازي في الرواية.

وينطلق "يوري لوتمان" من فرضية أنّ الفضاء هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو المجالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية، وقسم الفضاء إلى أربعة أصناف:<sup>4</sup>

**عندي:** وهو المكان الذي أمارس فيه سلطتي.

**عند الآخرين:** وفيه أخضع لسلطة الغير التي أعتزف بها.

**عند الآخرين:** وهي ليست ملكا لأحد معين.

<sup>1</sup> ينظر: حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، م، س، ص: 38

<sup>2</sup> ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 126

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص: 127

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 127

المكان اللامتناهي: ويكون خاليا من الناس(الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد).

وهذه التقسيمات كما نرى خاضعة للشخصية وموقعها في هذا العالم.

ويرى "محمد عزام" أنّ الفضاءات والأماكن الجغرافية التي تتنوع على المسار السردي مشكلة

فئات تتنوع من حيث الوظيفة والدلالة منها:<sup>1</sup>

أماكن الانتقال العامة: (القرى، المدن، الجبال...)

أماكن الإقامة الاختيارية: (البيوت)

أماكن الإقامة الإجبارية: (السجون، الزنانات)

### سيمائية الزمن:

الزمن أساس الرواية ومؤشر للتابع الأحداث، وما الرواية إلا فنّ شكّل الزمن بامتياز،

لأنّها تستطيع أن تلتقطه وتخصه في تجلياته المختلفة.<sup>2</sup>

وفي بيان علاقة الزمن بالرواية يقول حسن القصراوي: "وقد ارتبط الزمن بالرواية في علاقة

مزدوجة، لأنّ النصّ الروائي يشكل في جوهره بؤرة زمنية تنطلق في اتجاهات عدة، فالرواية

تصاغ داخل الزمن، والزمن يصاغ داخل الرواية التي تحتاج لزمن كي تقدم نفسها من خلاله

مرحلة وراء أخرى".<sup>3</sup>

وميّز "جان ريكادو" في الرواية نوعين من الزمن:

زمن السرد (الحكي والخطاب): هو زمن الكتابة أو السرد ومرتبطة بعملية التلفظ.

زمن القصة: وهو زمن خاص بالعالم التخيلي أي الترتيب المنطقي للأحداث، وميّز "طاهر

الروينة" فيه أربعة أشكال الحاضر المستمر، الماضي البعيد، الماضي القريب والمستقبل المتوقع،

<sup>1</sup> محمد عزام، شعرية الخطاب السردية، ص:73

<sup>2</sup> محمد برادة، الرواية أفقا للشكل والخطاب المتعددين، مجلة فصول 11، ع:04، 1993م، ص:22

<sup>3</sup> حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، بيروت، لبنان، (ط1)، 2004، ص:47

والفرق بين زمن القصة وزمن السرد أنّ الأول يخضع لتتابع الأحداث، بينما لا يتقيد زمن السرد بهذا التتابع المنطقي.

وزمن السرد عند الناقد الألماني "هايمن ريش" هو زمن السرد، أمّا زمن القصة هو زمن الحدث، الأول يُتعرّف عليه من خلال العلامات والمورفيمات الدالة على النسق الزمني الذي ينظّم النص، أمّا الثاني فهو المقطع الذي يرتبط بمضمون التواصل.<sup>1</sup> أمّا عند "تودوروف" تظهر الثنائية على هذا الشكل: زمن الخطاب وزمن القصة، فالأول خطي والثاني متعدد الأبعاد.

ومن تقنيات الزمن السردية:

الاسترجاع أو الاستذكار: وهو تقنية ينقطع من خلالها زمن السرد الحاضر بالرجوع إلى الماضي لاستحضار أحداث سابقة.

الاستباق والاستشراف: هو تمهيد للأحداث أو الإعلان عن أحداث ستقع لاحقاً في السرد ومن التقنيات نذكر: تسريع السرد عن طريق التلخيص، والحذف وإبطاء السرد وينجلي في المونولوج والوقفه الوصفية، ويطلق "جيرار جينت" على التقنيتين الأشكال الأساسية للحركة السردية، وهي عنده الخلاصة (أو السرد الموجز)، الحذف أو الإسقاط (القفز بالأحداث إلى الأمام)، الوقفة الوصفية (توقف عن السرد والإفساح للوصف)، والمشهد (من خلال الحوار).<sup>2</sup>

يعدّ "غريماس" مؤسس السيميائية السردية بلا منازع، وقد ارتبط اسمه بمدرسة عريقة في أوروبا وهي مدرسة "باريس السيميائية"، ومن أجل صياغة نظريته المشهورة استثمر في تصورات ونظريات سابقه ومعاصريه أمثال "دي سوسير"، "فلاديمير بروب"، "جاكسون"، "سورويو"، "تسنير"، "ليف شتراوس"، وتتنظم دراسة "غريماس" في مستويين: مستوى سطحي

(<sup>1</sup>) حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 114

(<sup>2</sup>) ينظر: حسن القسراوي، الزمن في الرواية العربية، ص: 224/225

ومستوى عميق، يقوم نموذجه على ثنائية الأضداد، والمعنى عنده يقوم على أساس اختلافي وبالتالي تحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده وفق علاقة ثنائية، وقد صاغ "غريماش" أفكاره من خلال ما أسماه بـ"المربع السيميائي" الذي هو حصيلة التحليل السيميائي، وتنبّه الدارسون إلى أهمية الزمن في توجيه النص ورسم مساره، وإلى أهمية المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات واستخلصوا منه تقنيات كالحلاصة والحذف والإسقاط والمشهد... وميّزوا من المكان أنواعا كثيرة كالمجازي والهندسي والمعادي...

## المحاضرة التاسعة:

### سيمياء السينما

السينما أو الفن السابع جمع بين ستة أنواع من الفنون وهي العمارة، الموسيقى، الرسم، النحت، الشعر، الرقص، وكان تصنيف الفنون بحسب أهميتها لدى الناس حين أطلق على السينما الفن السابع، ولقد انتشر هذا الفن على حساب الفنون الأخر بسبب ما توفره - السينما- من تقنيات، ومع ظهور السيميائيات أخذت السينما بعين الاعتبار، وقامت بدراستها كنص في علاماتي، ذو دلالات وتأويلات معينة كشفت عنها تحليلات عدة نقاد سيميائيين<sup>1</sup>، وأشهرهم "كريستيان ميتز" و "يورس لوتمان".

البداية كانت سنة 1976، حينما شرع السيميائي "كريستيان ميتز" في وضع منهجية وتطويرها، وتطبيقها على شريط الرواية الخيالية مستعيراً قواعد السيميائيات وأحداثه ثم درس الخدعة السينمائية وقسمها إلى ثلاثة مستويات:

• على مستوى الكاميرا(التقاط الصورة) ثم على مستوى (المشهد السينمائي)(عمل الممثلين)، وعلى مستوى تركيب الفيلم الذي يمكن عن تصنيف الحمولة الدلالية للخدعة السينمائية.<sup>2</sup> ظهرت في دراسات "ميتز" أنه أهمل دراسة الدلالات التكنولوجية، ثم ظهرت عدة دراسات كانت أكثر جدية من حيث المنهجية.<sup>3</sup>

وينشر "ميتز" بعد ذلك كتاباً أكثر نظيراً في السيميولوجيا معتمداً على نظرياته حول السينما الروائية، والتي تظل في الوقت الراهن مجموعة معارف نظرية وبيبلوغرافية حول الفكر السيميولوجي الجامعي وهو موضوع أطروحته للدكتوراه.<sup>4</sup> ويرى بعض النقاد السيميائيين، أن الفيلم السينمائي كنظام يحمل تنوعات لغوية، ففي اللقطة الواحدة يمكن أن نكتشف لغات

(1) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص109

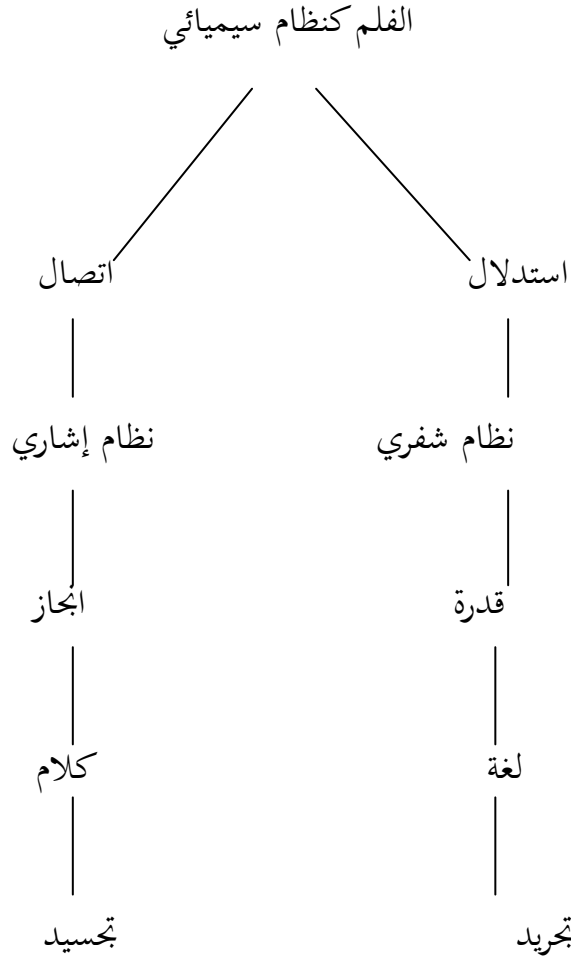
(2) سرنار توسان: السيميولوجيا، ص54

(3) المرجع السابق، ص109.

(4) ينظر: برنار توسين، ما السيميولوجيا، ص56.



عديدة، صورية وصوتية، وينضوي تحت الصوري، اللون والحجم والمضمون والضوء والأزياء، أما الصوتي فينضوي تحته الكلام والموسيقى والمؤثر ويمكن أن نبين ذلك من خلال الخطاطة الآتية:<sup>1</sup>



إنّ خضوع الفلم السينمائي للتحليل السيميائي ليس بالأمر اليسير، بل هو بالغ التعقيد، لأنّ في اللقطة الواحدة قد تظهر العشرات من الإشارات لذا كان التركيز على العلامة الرمزية في اللقطة. وفي هذا السياق يقول صلاح فضل: "إنّ الفيلم يجمع بين دفتيه وسائل ككمية

(<sup>1</sup>) ينظر، طه حسن الهاشمي، شعرية السرد السينمائي والتركبات الدكانية في الشكل الفلمي، مجلة الأكاديمي، العدد 52، 2009 ص7.

وأخرى موسيقية كما يحمل أيضا من الإرتباطات اللانصية التي تربطه بمجموعة بالغة التنوع من بنى المعاني مجموع هذه الطبقات السينمائية يشكل مونتاجا مركبا".<sup>1</sup>

وميز " كريستيان ميز " خمس لغات:<sup>2</sup>

- في الصورة المتحركة: وهي أبرز خاصية في السينما ، لها دلالات وإجاءات خاصة ، تظهر من خلال خاصية التعيين والقيام بالخداع أي المكان كما تنقله لنا الكاميرا، والخداع كمشاهدة التوأم وتمثيله شخص واحد وعرضه على أنه شخصان.

- الإستتباع القصصي: ويتمثل في اللقطات المرتبطة ببعضها والمنتجة لقطعة واحدة ذات مدلولات عديدة بحيث كل لقطة تتمثل وتوضح لنا مدلولاً معيناً.

- الصوت اللفظي: ويحتل موقع الصدارة في السينما، قبل أن تكون السينما منطوقة استخدمت عبارات مكتوبة لفهم القصة، وللرلة اللسانية وظيفتين في رأي " رولان بارت":

- **الأولى:** تدعى وظيفة الترسخ اللساني وهي توجه القارئ نحو المدلول.

- **الثانية:** الربط، فيها تعين الرسالة اللسانية الصورة على إنتاج المعنى، وتتم على مستوى القصة المروية.

- **الضجيج:** ويفتعل ليناسب الفلم المنتج، فيصبح جزءاً منه، فهو منظم وله معاني ومدلولات تساعد على توضيح القصة.

- الموسيقى ولديها استعمالان الأول علاقة التكرار بينها وبين باقي العناصر الصوتية والبصرية، كقرع الطبول، والثاني علاقة تناقض واختلاف يعث على الاستغراب أو الاستهجان لأغراض المخرجين وقصدية الفلم.

ويشير " فيصل الأحمر" إلى أنّ السيميائيين أو أغلبهم لم يتوصلوا إلى توحيد تحليلاتهم في هذا الميدان، أو الرسو على بر ثابت يمكنهم من الكشف عن العلامات السينمائية الدالة.

<sup>1</sup>) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1992، ص284.

<sup>2</sup>): ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص110

## المحاضرة العاشرة

### سيمياء الإشهار:

الإشهار هو مجموعة من الأخبار والمعلومات التي تستخدم لكسب انتباه الأفراد إلى شخص أو مكان أو حدث ما، أو هو الدعاية المستخدمة في الاتصال الجماهيري.<sup>1</sup>

#### 1. الصورة الإشهارية:

وتعني الصورة الإشهارية الصورة الإعلانية والإخبارية التي تستعمل لإثارة المتلقي ذهنيا ووجدانيا والتأثير عليه حسيًا وحركيًا، ودغدغة عواطف بدفعة قصد اقتناء بضاعة أو منتج تجاري ما.<sup>2</sup> وهو ظاهرة اقتصادية قبل أن تكون أدبية و اجتماعية لذلك بقي بعيدا عن متناول الدراسات الأدبية والنقدية.<sup>3</sup> وأولت السيميائية اهتماما كبيرا بالإشهار وخاصة روادها "رولان بارت"، "جورج بنينو" و "دورون".

ووقف هؤلاء على مجالاته التقنية المتطورة والبديعة كالكلام والصورة، والضوء والحركة والكتابات الموافقة فهو "منظومة تتشابك فيها عناصر الكلام المختلفة ويتحرك في مجراها الخطاب لتأدية الرسالة على أحسن وجه".<sup>4</sup> وللصورة الإشهارية وظائف كثيرة:<sup>5</sup>

#### 1. الوظيفة الجمالية:

هدفها إثارة الذوق ، والدعوة إلى التأمل في أدق عناصرها، تجذب انتباه المشاهد، وتحفزه على شراء البضاعة.

#### 2. الوظيفة التوجيهية:

---

<sup>1</sup>) Cambridge dictionary Retrieved 4.4.2017 ED:elite

<sup>2</sup>) ينظر ، جميل حمداوي، سيميائية الصورة الإشهارية، صحيفة المثقف من موقع [www.almothagaf.com](http://www.almothagaf.com) 2010 -1570 mail

<sup>3</sup>) معجم اللسانيات ، فيصل الأحمر ص 114.

<sup>4</sup>) ينظر، المرجع نفسه ص114.

<sup>5</sup>) ينظر :محمد خلان، الخطاب الإقناعي- الإشهار نموذجًا، مجلة دراسات أدبية ولسانية.

ترفق الصورة المعرضة لمختلف التأويلات بتعليق صغير يوجه مقصودها.

### 3. الوظيفة التمثيلية:

تقدم الأشياء والأشخاص بدقة ووضوح عكس اللغة.

### 4. الوظيفة الدلالية :

تتظافر كل تلك الوظائف السابقة لتخلص إلى هذه الوظيفة، إذ أنّ الإشهاري يؤسّس الصورة ويقننها لتأدية معنى ويحاول جاهدا إبلاغ ما يريد بمختلف الوسائل واللغة أبرزها لأنها تسير الصورة إلى المعنى المقصود.

وتلخص الباحثة "سهام حسن على الشجيري" أساليب الصورة الإشهارية في النقاط

التالية:

1. أسلوب صورة السلعة كاملة أو جزء منها.
2. أسلوب صور مجموعة من الصور.
3. أسلوب صور السلعة جاهزة للاستعمال.
4. أسلوب صورة السلعة الاستخدام.
5. أسلوب صورة نتائج استخدام السلعة.
6. أسلوب نتائج عدم استخدام السلعة أو الخدمة.

### 2. الخطاب الإشهاري(الوسائل التعبيرية):

يتميز الخطاب الإشهاري ببناء محكم خاص تتضافر مختلف مكوناته التعبيرية، بقصد تبليغ رسالة وحيدة ومحددة، ولا يمكن أن يخطئها القارئ المستهدف، وإلا اعتبر ذلك دليلا على فشله. ومن المعلوم أن العلامات اللغوية ترافق الصورة الإشهارية، من أجل تمرير الرسالة، حضور العلامات اللغوية ضروريا في بناء الرسالة الإشهارية لقدراتها التواصلية الخاصة الكفيلة

بسد الخصائص التعبيري الملحوظ في الوسائل الأخرى، وتحصين القراءة من كل انزلاق تأويلي محتمل، من شأنه الإخلال بالهدف الأساسي للصورة.<sup>1</sup>

ونظرا لقصور العلامة الأيقونة عن أداء بعض المهام التعبيرية الخاصة، كنقل أفكار الشخصيات وأقوالهم، استوجب الاستعانة بالوسيلة اللغوية للتغلب على هذا النقص واستكمال الأداء الوظيفي.

وقد تظن " رولان بارت " للدور المهم للرسالة اللغوية في الصورة الإشهارية، إذ نجد يحدد وظيفتين أساسيتين:<sup>2</sup>

**الأولى:** وظيفة الإرساء أو الشرح وتمثل في العمل على توقيف مسيرة التدفق معاني الصورة عن تعددها الدلالي عن طريق ترجيع أو تعيين أو تأويل بعينه، حيث ترهن وظيفة الرسالة اللغوية توضيح الصورة وكثافتها الإيحائية.

**الثانية:** وظيفة تكميلية، ليتأكد الطابع التكاملي، فالنص يلجأ أحيانا للصورة لإظهار ما يعجز عن تبليغه ما دامت الصورة على غناها التواصلية تظل مجرد رسالة بصرية قاهرة عن أداء بعض المهام التعبيرية، ما لم تستغن باللغة، لدرجة ذهب معها "جان لوك" لتشبيه علاقتهما التلازمية بعلاقة الكرسي بالطاولة: إذا ما أردتم الجلوس للمائدة، احتجتم لهما معا.

ولم يحف عن أهل الاختصاص "صورة الكلمات" وما تحمله من إيجازات تعبيرية للتأثير الذي تحدثه في توجيه القراءة. فشكل ونوع طباعة الكلمات يمتلكان ملاءمة سيميولوجية.

ولم يغفل كذلك على محتوى الرسالة اللغوية المصاحبة للصورة الإشهارية بهدف العلاقة التكاملية القائمة بينهما، فضبط آليات اشتغال اللغة لمؤازرة الصورة- الحرص على عدم

(<sup>1</sup>) ينظر: عبد العالي بوطيب، آليات الخطاب الإشهاري، مجلة علامات منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس المغرب، ص123.

(<sup>2</sup>) المرجع نفسه ص124.

تشويه محتوى الرسالة كالوقوع في الأخطاء النحوية والتركيبية- وذلك لإيقاع المشاهد وتحويله  
لربون فعلي<sup>1</sup>.

أولى رواد السيميائية اهتماما كبيرا بالإشهار، ووقفوا على مجالاته التقنية المتطورة وتنبهوا  
إلى التكامل بين النص والصورة الإشهارية ("بارث")، وأدركوا أن الوصول إلى مقصدية الرسالة  
(هدف الإشهار) يتطلب المزج بينهما، فكل منهما دور ومهمة للتشهير بالمنتج، فالنص قد  
يلجأ إلى الصورة لإظهار ما يعجز عن تبليغه، والصورة نضطلع بإجراء المتلقي، إنهما نظامان  
دالان يعملان لمقصدية واحدة.

---

(<sup>1</sup>) المرجع السابق، ص125.

## المحاضرة الحادية عشر

### سيمياء التواصل (Sémiologie de communication)

استطاع لغويو مدرسة باريس أن يفرضوا اتجاهها قويا في الساحة النقدية والأدبية، مستلهمين من اللسانيات الحديثة أسسها ومبادئها، ومن أبرز هؤلاء "بويسنس"، "بريطو" و"مونان" و"غرايس" و"أوستين"، وقد ركز هؤلاء على بعض تصورات "فرديناند دي سوسير" وخاصة ما تعلق بحد اللغة، والتي قال بشأنها "اللغة نظام من الإشارات التي يعبر بها عن الأفكار".<sup>1</sup> فقد أدرك هذا الأخير منذ البداية أنّ العملية التواصلية تتم عبر مجموعة من الإشارات اللغوية وغير اللغوية.

ولقد استطاع علماء المدرسة الفرنسية السالف ذكرهم أن يستثمروا في قول "دي سوسير" حينما ذكر الإشارات اللغوية وغير اللغوية، وأدرك كل من "بريتو" و"مونان" و"مارتيني" و"بويسنس" أنّ وظيفة الأساس هي التواصل، ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنية وإنما توجد أيضا في البنيات السيميائية التي تشكلها الأنواع الأخرى غير اللسانية.<sup>2</sup>

#### 1. شروط سيميائيات التواصل:

وضع أصحاب هذا الاتجاه جملة من الشروط وكان أهمها شرط "القصد"؛ إذ يجب أن يتوفر القصد في التبليغ لدى المتكلم وأن يعترف متلقي الرسالة بهذا القصد،<sup>3</sup> واستطاع الباحث الجزائري "رشيد بن مالك" أن يميز بين الوحدات التي من أجلها يتوفر القصد في التبليغ، وتسمى أدلة، والوحدات التي ينعقد فيها القصد في التبليغ وتسمى الإشارات، ويرى "رشيد بن مالك" اشتراط توفر القصد في الوحدات الأولى يعود إلى كون العلامة عندهم تتكون من ثلاثة عناصر

(1) فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ص: 37

(2) رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص (عربي/الانجليزي/فرنسي)، ص: 31

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 192

## دال + مدلول + الوظيفة أو القصدية

ووضع أصحاب هذا الإتجاه شرطا آخر لا يقل اهمية عن شرط القصد وهو "التأثير على الغير"، حيث عُدد وظيفة أساسية للكلام في حقل السيميولوجيا.<sup>1</sup> وقد يكون التأثير عن وعي أو عن غير وعي، وتتوقف درجة التأثير حسب طبيعة الأمارات والمعينات (Indications)، وصنفت إلى ثلاثة أقسام:<sup>2</sup>

**1.1 الأمارات العفوية:** وهي وقائع ذات قصد مغايرة للإشارة، تحمل إبلاغا طبيعيا وعفويا، مثال: لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد.

**2.1 الأمارات العفوية المغلوطة:** وفيها تختفي الدلالات التواصلية للغة، كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.

**3.1 الأمارات القصدية:** وتهدف إلى تبليغ إرسالية مثل إشارات المرور.

## 2. محاور سيميولوجيا التواصل:

يشير مؤلفي "مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (البنوية \_ السيميائية\_ التفكيكية)" أنّ لسيميولوجيا التواصل محوران أساسيان:<sup>3</sup>

**الأول:** التواصل ويتفرع إلى لساني وغير لساني، أما اللساني يتمثل في العملية التواصلية التي تتم بين البشر بواسطة الفعل الكلامي، والثاني يسمه "بويسنس" "لغات غير اللغات المعتادة"، ويقسمه بدوره إلى معايير ثلاثة:

\_ معيار الإشارة النسقية كعلامات السير الثابتة.

\_ معيار الإشارة اللانسقية وتعلق بالعلات المتغيرة كالمصقات الدعائية.

(1) رشيد بن مالك، قاموس التحليل السيميائي للنصوص (عربي/الانجليزي/فرنسي)، ص: 172

(2) ينظر: جميل حمداوي، سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، [www.midouza.org](http://www.midouza.org) md،

(3) ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص: 88، وفيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 89



— معيار الإشارة التي بمعنى مؤشرها علاقة جوهرية بشكلها، أمّا العلامة فجعلها أربعة أصناف هي: الإشارة، المؤشر، والأيقون والرمز.

1. الإشارة: وهي أنواع: كحمة الأصيل، والإرهاصات المنبئة بالثورة، وأعراض المرض، والبصمات والآثار الدالة على حضور، وأهم ما يميز الإشارة هو كونها مدركة ظاهرة، وهي رهن إشارة الإنسان الذي يملك حق تعريفها وشرحها كما يريد.

ونفهم من هذه المواصفات التي يعطونها للإشارة أنهم يقصدون بها الأمارات غير القصدية.

2. المؤشر: وقد عرفه "بريطو" بأنه العلامة التي هي بمثابة إشارة اصطناعية، هذا المؤشر وهو يفصح عن فعل معنى لا يؤدي المهمة المنوطة به إلا حيث يوجد المتلقي له.

3. الأيقون: وهو علامة تدل على شيء تجمععه إلى شيء آخر علاقة المماثلة، إذ يتعرف على النموذج الذي جعل الأيقون مقابلا به.

4. الرمز: وهو عند "موريس" علامة العلامة، أي العلامة التي تنتج قصد النيابة من علامة أخرى مرادفة لها، ومعنى ذلك أن العلامة اللغوية يصير لها مدلول آخر كالسلاحفة رمز للبطء.

وأخيرا، يمكن القول أنّ سيميولوجيا التواصل كان اتجاهها ممتلكا لشرعيته خاصة مع الفرنسيين الذين احتضنوا أفكار "دي سوسير" بكل صدر رحب، وزادوا عليها ما رأوه لائقا، وقد رأينا أن أهم ما يميز هذا الاتجاه هو التركيز على الوظيفة التواصلية، وضرورة التأثير على الغير، ناسين أو متناسين أنّ هدف السيميائية الأول هو الوصول إلى عمق الدلالة في صلب الحياة الاجتماعية بأي شكل كان.

## المحاضرة الثانية عشر

### سيمياء الثقافة

إذا كانت مهمة سيميولوجيا التواصل البحث عن طرق التواصل كما شرح "بويسنس"، أي دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير المعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه مع الاهتمام بعنصر القصدية، وإذا كان مجيء سيميولوجيا الدلالة كردة فعل على أصحاب الاتجاه الأول (التواصل) باعتبار العلامات تحمل دلالات مختلفة تفهم بطرائق عدة، ومن كونها تتغير بتغير السياقات والمواقف، فإنّ سيميوطيقا الثقافة جاءت تجمع بين النوعين السابقين كما يرى "فيصل الأحمر"،<sup>1</sup> لكن هذا الاتجاه مختلف عنهما في بعض الخصائص التي جعلت منه مجالا خاصا آخر من مجالات الدراسات السيميائية، لأنّه يرتبط أكثر بالجانب التطبيقي. إذا: ما سيميوطيقا الثقافة؟ وما أبرز أعلامهما؟ وما أسسها؟ وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة لا بأس أن نعرف خلفيتها الفلسفية.

#### 1. الخلفية الفلسفية:

تستقي سيميوطيقا الثقافة معارفها من فلسفة الأشكال الرمزية ورائدها "أرنست كاسيرر"، فمن أجل بناء تصور يستهدف الإحاطة بالصورة الكلية للتجربة الإنسانية يقول "كاسيرر": "بدل الإنخراط في البحث عن الشروط العامة التي تمكن الإنسان من التعرف على العالم، فإنّه يبدو من الواجب حصر الأشكال الأساسية التي يفهم من خلالها الإنسان هذا العالم".<sup>2</sup>

فالأشكال الرمزية من شأنها توصيف مختلف التوجهات العامة للتفاعلات الإنسانية، وتحديد عدد كبير من النشاطات الثقافية، وتشير بعض الدراسات أنّ "أرنست كاسيرر" بنا

(<sup>1</sup>) ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 97

(<sup>2</sup>) E.Cassirer ; Phisologie des fomes symbolique Le language ; Paris.France.ED : MINUIT ;P :07

تصوره من منطلقين، الأول: "أرسطي" الذي يرى أن العلم هو ما يقوى على ابتداع مفاهيم شمولية مستمدة من الطبيعة بمختلف أجناسها، والثاني "غاليلي" الذي يرى أنّ العلم هو إعادة بناء وظيفة للمفاهيم، حيث يأخذ هذا البناء نمطه البنيوي وجوهره الرياضي مظهرها توليديا بالأساس.

إنّ الإنسان من منظور "كاسيرر" يختلف عن باقي المخلوقات الحيوانية، فما كان سائدا على اعتبار الكلاسيكيين الذين اعتبروا الإنسان حيوانا ناطقا، فهو يراه رمزي كما أن اللغة البشرية تمثل التطور المتقدم للإنسان، فقد انتقل من طور الطبيعة إلى طور الثقافة أي من طور العلامات إلى طور الرموز القابلة للتعميم، والعلامات تنتمي إلى عالم الطبيعة... والرموز تنتمي إلى فضاء المعنى، وبما أن الإنسان حيوان رامز، فإن مبدأ الرمزية يساعده على عملية الإبداع الثقافي وإنتاج الأنساق السيميائية الدالة.

### أعلام السيميوطيقا الثقافية:

مثل هذا الاتجاه مدرستان:

**الأولى:** الإيطالية وروادها "روسي لاندي" و"أمبرتو إيكو".

**الثانية:** الروسية (الإتحاد السوفياتي) وروادها "يوري لوكمان" و"إيفانوف" و"أوسبنسكي" و"تودوروف".

ولا تختلف المدرسة الأولى عن الثانية، لأنّ القاسم المشترك بينهما في الدراسة هو الثقافة، فتصور هذا الاتجاه ينطلق كما يرى "مبارك حنون" من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية، والثقافة كما يرى "رشيد بن مالك" عبارة عن إسناد وظيفة الأشياء الطبيعية وتسميتها وتذكرها.<sup>1</sup>

وقد استغلت جماعة "موسكو تارتو" في أول مؤتمر لها على السمة، وكان محور هذا المؤتمر "الدراسة البنيوية لأنظمة العلامات"، وقد تقدم "إيفانوف" بمفهومات أصبحت أسسا

(1) ينظر: فيصل الأحمر، معجم اللسانيات، ص: 97

محورية في الدراسات السيميائية السوفياتية كلها، فهو يرى أنّ الإنسان والحيوان حتى الآلات تلجأ إلى العلامات، واقترح تصنيفاً لأنظمة العلامات في شكل تدرج هرمي، وجعل اللغة هي النظام الأول باعتبارها وسيلة لحفظ وصيانة أفكار وثقافات الشعوب، ولم يهمل "إيفانوف" الدور الذي تقوم به هذه الأنظمة وهو نقل المعارف المختلفة، وقد لاحظ معظم الباحثين أن تصورات "إيفانوف" استمدت مفاهيمها من:<sup>1</sup>

1. المدخل الرياضي والمنطقي للدراسات السيميوطيقية لـ"بيرس".

2. المدخل اللغوي الذي أرسى قواعده "دي سوسير" وهذا بالنسبة للوظيفة التواصلية.

إنّ العلامة عند جماعة "تارتو" لا تكتسب دلالتها إلّا من خلال وضعها في إطار الثقافة، ويؤكدون على ربط هذه الأنظمة بمجالات مختلفة اجتماعية، اقتصادية وسلوكية، فهم يدرسون العلاقات التي تربط بين الأنظمة المختلفة كعلاقة الأدب بالبنيات الثقافية الأخرى كالدين والأشكال التحتية الأخرى، ويحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني أو بين الثقافات المختلفة.<sup>2</sup>

أمّا المدرسة الإيطالية والتي مثّتها كلا من "روسي لاندي" و"أمبرتو إيكو"، ومثّلت طروحات هذه الأخير المشروع السيميوطيقي للثقافة، حيث استطاع "إيكو" تحديد الوظيفة التي تلعبها العلامة داخل المجتمع، فالعلامة توظف "من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطر الآخر هذه المعرفة، إنّها بذلك جزء من سيرورة تواصلية من نوع مصدر باث قناة إرسالية مرسل إليه".<sup>3</sup>

إنّ "أمبرتو إيكو" يتحدث عن النسق التواصلية، ويظهر ذلك واضحاً عندما استحضّر عناصر العملية التواصلية التي تعد سلوكاً مبرمجاً بين الباث والمتلقي (أو المرسل إليه)، وبالتالي فأى نسق تواصلية يؤدي وظيفة ما، وفهم الثقافة لا يتم إلا من خلال مظهرها التواصلية، لذا

(1) فيصل الأحمر: معجم اللسانيات، ص: 99

(2) المرجع نفسه، ص: 99

(3) أمبرتو إيكو، تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص: 215

فقوانين التواصل هي قوانين الثقافة وهذا يعني أن قوانين الأنساق السيميوطيقية هي قوانين ثقافية.<sup>1</sup>

أما "روسي لاندي" فإنه يحدد سيميوطيقته من خلال أبعاد البرمجة التي يمكن حصرها في ثلاث أنواع:<sup>2</sup>

1. أنماط الإنتاج (مجموع قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج).

2. الإيديولوجيات (تخطيطات اجتماعية لنمط عام).

3. برامج التواصل (التواصل اللفظي وغير اللفظي).

إنّ الإيديولوجية تلعب دورا هاما لارتباطها بالسلوكات الإنسانية، فهدف "لاندي" هو الكشف عن كل سلوكات الإنسان وتعريفها من خفاياها الإيديولوجية المختلفة. كما أنّ السيميوطيقا لا يمكنها أن تفي فقط بالطريقة التي تتبادل البضائع باعتبارها رسائل، بل يجب أن تفي أيضا بالطريقة التي تم بها إنتاج هذه الرسائل.<sup>3</sup>

حاصل القول إنّ سيميوطيقا الثقافة جمعت بين نوعين من السيميائيات: الأول سيمياء التواصل، ويهتم بدراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير، والثاني بمعالجة الشفرات ذات البعد الاجتماعي، ولكن ما يميّز سيميائية الثقافة هو اهتمامها بالجانب التطبيقي، وقد ساهم كل من أصحاب مدرسة "نارتو" ومدرسة "الاتجاه الإيطالي" في تشكيل سيميوطيقا الثقافة التي تشعبت منها السيميائيات الأخرى كـ: "الصورة والإشهار والسينما" وفنون أخرى.

(1) ينظر: جميل حمداوي، سيميوطيقا العنونة، عالم الفكر، المجلد 25، العدد 3، ص: 95

(2) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص: 100

(3) جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، ص: 96

## المحاضرة الثالثة عشر

### سيمياءية الأهواء:

في نهاية سبعينيات القرن الماضي بدأ يلوح في الأفق ظهور فرع جديد في حقل السيميائيات، حيث اهتم بدراسة الذات والانفعالات الجسدية، والحالات النفسية ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الإهوائية بالتركيز على مكونين أساسيين: المكون التوتري (انعكاس العالم الطبيعي على الذات) أو المكون العاطفي أو الوجداني (منبع الأحاسيس والعواطف).<sup>1</sup>

وخير من مثل هذا الاتجاه "ألجيرداس غريماس"، و"جاك فوتماني" وكتابهما "سيمياءيات الأهواء"، و"هومان باريت" وكتابه "الأهواء محاولة في تخطيب الذاتية"، و"آن إينو" وكتابها "السلطة بوصفها هوى"، ولقد كان لهؤلاء الفضل الكبير في بسط مبادئ وأسس هذا الاتجاه.

### 1. الخلفية الإبستمولوجية لسيمياءيات الأهواء:

استمدت "سيمياء الأهواء" تصوراتها من "الظاهرتية" *Phénoménologie*، وهي فرع من الفلسفة التحليلية التي أعادت صياغة الإشكالات والموضوعات الفلسفية على أساس علمي، فكانت بمثابة رد فعل على الفلسفة الكلاسيكية (الميتافيزيقية والطبيعية)، ورأت أن الأداة العرفية الضرورية هي دراسة اللغة باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي يتوخى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا.<sup>2</sup>

وقد تزعم "مذهب الظاهرتية" الفيلسوف "أدموند هوسرل" (1859\_1938)،

واستندت فلسفته على مجموعة من المبادئ نذكر منها:

(<sup>1</sup>) ينظر: جميل حمداوي، سيميوطيقا الأهواء، رواية الإرهابي 20، لعبد الله ثابت أموذجا، (ط1)، 2016، ص: 10.

(<sup>2</sup>) ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، (ط1)، 2008، ص: 30.

**القصدية:** وتعني أنّ كل وعي هو وعي بشيء، وكل فكرة هي فكرة عن شيء، وهكذا "لقد أخذ "هوسرل" على "ديكارت" مقولته أنا أفكر دون أن يذكر لنا في أي شيء يفكر، لأن الفكر يغير شيء يتعلق به ضرب من المحال".<sup>1</sup>

**الإدراك الظاهري:** كل ما هو مدرك فهو موجود، وما ليس مدركا فهو غير موجود؛ أي "الظاهريّة" تدرس الظواهر التي تدركها الذات، أو يدركها الوعي أو الشعور، وللجسد دور في التقاط تجارب هذا العالم المدرك.

**ارتباط الذات بالموضوع:** كل شعور هو أن يكون شعورا بشيء أو شعور بموضوع ما، فالذات ترتبط بالموضوع والمقصدية، فلا وعي بدون موضوع ولا ذات بدون موضوع ما. وأثر هذه المبادئ واضحة في تصورات "غريماس" وخاصة حينما حاول الربط بين الشعور، وإدراك العالم ضمن علاقة توأمية تفاعلية مباشرة وتعبير آخر، يتوسط الجسد الإستهوائي الذات وعالم الأشياء، بتشغيل الحواس لإدراك العالم وتحديد مقصدية الذات، ومن هنا يتم الحديث عن الانتقال من حالات النفس إلى حالات الأشياء.<sup>2</sup>

### 1. هرمان باريت H.Parret :

ساهم "هرمان" في إرساء هذا الاتجاه في حقل السيميائيات، فبعد محاولاته التنظيرية التي أتت على شكل دراسات متفرقة، قام ببلورتها بعد ذلك في كتاب سماه "الأهواء محاولة في تخطيط الذاتية"، ويرى الباحث المغربي "محمد الدامي" أنّ منهجية "باريت" انطلقت من اعتبارين:<sup>3</sup>

(أ) علاج الهوى من منظور فلسفة اللغة مركزا على البعد التلفظي وشروط إنتاج الخطاب.

(ب) أعاد النظر في بناء البعد الانفعالي من خلال مختلف مستوياته وتجلياته.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، نافذة على فلسفة العصر، سلسلة كتاب العربي، الكويت، الكتاب السابع والعشرون، 1990، ص:53

<sup>2</sup> ينظر: جميل حمداوي، سيميوطيقا الأهواء، ص:11

<sup>3</sup> محمد الدامي، سيميائيات الأهواء في حلتها العربية، مجلة بحوث سيميائية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد

ج) قدم تصورا جديدا للمسار التوليدي مركزا على ثلاثة محافل وهي الوجودي، ثم المورفولوجي، ثم التركيبي ومستندا إلى تحويلين أساسيين، يوفر أحدهما الشروط السياقية وثانيهما يهتم الجوانب البلاغية والخطابية.

د) اعتنى بالتلفظ في بعده الخطابي، فمن خلال عملية التخطيط يتضح أن "هرمان باريت" ينطلق من المنجزات التلفظية والتداولية، وخاصة نظرية أفعال الكلام للتدليل على القوة العاطفية التي تكشف عن حضورها ذاتية المتكلم في الخطاب، وبيان أن درجة القوة (أو الهوى) هي التي تستوفي أحد شروط الفعل الكلامي.

## 2. آن إينو Anne Henault:

استطاعت الباحثة أن تميز بين سيميائية العمل (الفعل) وسيميائية (الهوى)، القائمة على الاتصال بين الذات المدركة والعالم الموضوعي، ففي كتابها "السلطة بوصفها هوى" لاحظت الباحثة أن "غريماس" عادة ما يعطي الأولوية للعمل ليس فقط على مستوى تاريخ أفكاره، بل كذلك على المستوى الإبستمولوجي ففي رأيها "تحليل كفاية الذات الإبستمولوجية الفاعلة هو الذي يضيفي إلى قضية الهوى أو قضية الأهواء".<sup>1</sup>

وفي مجال التطبيق، وقع اختيار الباحثة على عمل "دايدلي R. A. Dadilly" والمتمثل في كتاب "يوميات روبر أرنو"، والمحددة زمنيا من سنة 1614 م إلى 1632 م، وقد استخلصت "إينو" من دراسة حالة السلطة، عبر ثنائية الجذب والقوة إلى أن هناك ثلاث حالات سيميائية للأهواء:<sup>2</sup>

- الانتقال من حالة الصبور والتقدير.
- حالة الخيبة والفشل في إقرار السلم.
- حالة التنبيه الشرعي وفقدن الهيبة.

<sup>1</sup> نقلا عن جميل حمداوي، سيميوطيقا الأهواء، ص: 16

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 17



ولقد اعتمدت الباحثة في تحليلها للمتن على الدراسة الدياكرونية والسايكرونية معا ، ففي الأولى ركزت على الفواعل التاريخية وهي تتفاعل مع الأحداث، مستخلصة في عملية إحصائية السلوكات الإستهوائية المتواترة، وضبط العواطف الصادرة عن ممارسة الحكم، ولم تغفل الباحثة عن جانبين مهمين في الدراسة وهي دراسة الأهواء من زاوية اجتماعية وأنثربولوجية، أمّا الدراسة السايكرونية فقد اهتمت بالملفوظ، ومن خلاله قدمت تصورا جديدا لعلاقة الذات بالموضوع.<sup>1</sup>

### 3. ألجيرداس غريماس وجاك فونتاني : Algirdas Grimas. Jaques Fontanille

ركز الباحثان على مجموعة من المفاهيم التحليلية كالجسد، الانفعال، الكمية، الامتداد، الكثافة، الإيقاع، القوة، الضغط، التوتر، الإحساس، الطاقة الشعورية، ثنائية الصالح والپالاح، الانفصال والاتصال، والعالم الداخلي والخارجي، والذات والموضوع، وحالات النفس وحالات الأشياء.<sup>2</sup> وكتابهما "سيمياتيات الأهواء" استقام على ثلاثة فصول:

**الفصل الأول:** وهو نظري وضم العدة المفاهيمية لهذه السيمياتيات أما الثاني والثالث فقاما بدراسة هويين هوى البخل باعتباره هوى موضوعا، وهوى الغيرة باعتباره هوى بنذاتي.

لقد كان الحديث عن الأهواء والعواطف الإنسانية مستبعدا في الدراسات السابقة ونقصد "الدراسات البنيوية" التي أقصت الإنسان وما يتعلق به، وركزت على النص، لكن مع هذين الباحثين عاد الاهتمام إلى الإنسان أو إلى الحياة الداخلية للذات، وكان الهدف الأساسي من دراسة الهوى هو الاهتمام بالآثار المعنوية، مثلما أشار "سعيد بن كراد" أنّ ما هو أساسي في دراسة الهوى ليس التعرف على العلامات الدالة على الأهواء، بل الاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب، لذلك فإنّ الأمر لا يتعلق في سياق هذا الكتاب \_سيمياتيات الأهواء\_ بمحاولة تقديم صنافه شاملة لسلسلة من الأهواء كما يعل ذلك

<sup>1</sup> ينظر: الداھي محمد، سيميائيات الأهواء في حلتها العربية، ص106، وجميل حمداوي، سيميوطيقا الأهواء، ص:18

<sup>2</sup> ينظر: جميل حمداوي، سيميوطيقا الأضواء، ص:12

الفلاسفة أو علماء النفس وغيرهم، ولا يتعلق الأمر أيضا بإصدار حلة من الأحكام الاجتماعية والأخلاقية التي تدين هذا الهوى، وتضمن ذلك ضمن استقطابات من طبائع مختلفة، فهذه أمور لا طائل من ورائها ولا يمكن أن تقدم إضافة نوعية قد تقودنا إلى فهم أفضل لهذا السلوك الهووي أو ذلك... فهوى السيميائيات هوى تركيبى دلالي لا يلتفت إلا للممكنات الكامنة التي يمكن أن تتجسد من خلال وجوده الأدنى كما يتحقق في القواميس، فهي لا تكثرث لما تقوله الأخلاق، ولا تلفت إلى ما يقوله الدين وينصح به إلا من حيث إمكانيات تحويل النهي والترهيب والترغيب إلى برامج سردية، تتضمنها محكيات تضع الهوى ضمن سياق خطابي بعينه (حالة لقمان وهو يعظ ابنه).<sup>1</sup>

من خلال القول يتبين أنّ سيميائية الأهواء تهتم بالبعد الانفعالي أو الاستهوائي إضافة إلى البعد الغرضي، وبعد آخر وهو محوري في سيميائية الأهواء هو الاستهوائي أو الانفعالي.

### نموذج تطبيقي "الغيرة":

في كتابهما انكب كل من "غريماس" و"فونتاني" على دراسة "الغيرة"، وخصصا لها فصلا كاملا بعد فصل الثاني "البخل"، و"الغيرة" هوى بيذاتيا (تنافس الغيور والغريم على المحبوبة)، بمعنى يقتضي وجود علاقة بين غيور وموضوعه (المحبوب) (ذ1/ذ3)، وبيت الغيور والغريم (ذ1/ذ2).<sup>2</sup>

إما الخوف من فقدان المحبوب أو اقتسامه مع الغريم، وإما الامتناع من استمتاع الآخر به وحرمانه منه، وينجر عن ذلك وضعيات أخرى كـ "التباري"، و"المنافسة"، و"الامتلاك"،<sup>3</sup> وتكون غاية "الغيور" هي امتلاك المحبوب (ذ3)، ويرفض أن يشترك المنافس في امتلاكها، وهنا نظهر براعة الناقد في إمساك خيوط القضية أي الكشف عن الهويين من خلال

<sup>(1)</sup> سعيد بنكراد (مقدمة مترجم)، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس لغريماس وحاك فونتاني، ترجمة سعيد بنكراد،

دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، (ط1)، 2010، ص: 10\_11

<sup>(2)</sup> ينظر: سعيد بنكراد، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص: 273

<sup>(3)</sup> ينظر: محمد الدامي، سيميائيات الأهواء في حلتها العربية، ص: 112

الخطاب، ومن خلال تحققهما بعيدا عن الصناعات التي قد لا تقدم أي شيء في بناء الدلالات، ويقدمان أمودجا جديدا لتناول الأهواء وتحديد مضامينها استنادا إلى ممتلكتها في الخطاب لا استنادا للقواميس فحسب، لأنّ الوجود الخطابي للأهواء رهين باستعمالاتها، ولذلك لا فائدة من مساءلة الصناعات التي قد تكون محكمة برؤية دينية أو اجتماعية أو أخلاقية.

خلاصة القول لقد أدرك النقاد السيميائيون وعلى رأسهم "غريماس" أن للانفعالات الجسدية والحالات النفسية أو ما يسمى بـ "سيميائ الأهواء" دور في توليد الدلالات، وأنّ سيميائ العمل مخصصة للحدث أو الفعل فقط، فسعوا إلى التوفيق بين الاتجاهين، وبعد محاولات كثيرة كالتى قامت بها "آن إينو" و"هارمان باريت" وغيرها، استطاع "غريماس" و"جاك فونتاني" أن يضعوا الأسس لسيميائية الأهواء والتي ضمّهما كتابيهما "سيميائيات الأهواء"، الذي استقام على قسم نظري وضمّ العدة المفاهيمية وقسمين آخرين للتطبيق، حيث خصصاهما للهواوين الغيرة والبخل، وقد توصلا في الأخير إلى نتيجة مفادها أنّ للأهواء دور فعّال في توليد الدلالات باعتبارها مبعث التأثير والتأثير.

## المحاضرة الرابعة عشر

### الجهود العربية في التحليل السيميائي

لقد انتشر الدرس السيميائي في الساحة النقدية والأدبية منذ الستينيات القرن الماضي في أنحاء العالم، أوروبا وآسيا وأمريكا، ولعل ظهور الجمعيات التي اهتمت بهذا العلم الجمعية العالمية للسيميوطيقا في "باريس" سنة 1969، وإصدارها مجلة فصلية عنوانها "سيميوطيقا (Semiotoca)" دليل على ذلك، وكذلك انعقاد أول مؤتمر عالمي للسيميوطيقا سنة 1975، للبحث في أسس ومبادئ وقواعد هذا العلم. أما في الوطن العربي، فانتشر بوتيرة بطيئة، إذ حاول بعض الباحثين ترجمة بعض الكتب والدراسات التي اهتمت بالمفاهيم والمصطلحات، وكذا بعض المحاولات التطبيقية التي حاولت مقارنة النصوص الأدبية سيميائيا، والبداية كانت ترجمة كتاب "فرديناند دي سوسير" الذي بشر بهذا العلم.

#### 1. جهود العرب في ترجمة كتاب "فرديناند دي سوسير":

— ترجمة "يوسف غازي" و"مجيد النصر" ترجمة كتاب " Cours De Linguistiques Générale"، ونقله إلى العربية ليصير "محاضرات في الألسنية العامة"، نشر المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، سنة 1986.

— ترجمة "صالح القرمادي" و"محمد عجينة" من اللغة الأصلية ونشرته الدار العربية للكتاب "تونس" بعنوان "دروس في الألسنية العامة".

— ترجمة "أحمد نعيم الكرعين"، من جامعة "بير زيت فلسطين"، ولكن من اللغة الإنجليزية عن ترجمة "وادي باسكين" (Wade Baskine)، ونشر دار المعارف الجامعية الإسكندرية 1985 ليصير "فصول في علم اللغة العام".

## 2. ترجمة ونقل المصطلح "السميائية إلى العربية:

المصطلح المعرب	الكتاب	المؤلف
السيمالوجيا علم الدلالة علم الإشارة / السميولوجيا السيموطيقا/السميولوجيا	علم اللغة مناهج بحث اللغة الألسنية علم اللغة الحديث دروس في السيميائيات	محمود السعدان تمام حسان ميشال زكريا حنون مبارك
علم العلامات	فصول في علم اللغة العام(ترجمة الكتاب)	أحمد كرعين
علم الدلائل	دروس في الألسنية العامة (ترجمة الكتاب)	صالح القرماذي محمد الشاوش محمد عجينة
السميائية	ندوة البحث اللساني والسميائي (المغرب)	الأخضر بوجمعة

## جهود أصحاب المعاجم أو القواميس:

المصطلح	المعجم أو القاموس	المؤلف
علامية/سميائية	قاموس اللسانيات 1984	عبد السلام المسدي
السميولوجيا/علم العلاقات/دراسة المعنى	معجم المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية(معجم عربي، أعجمي أعجمي، عربي)	رشاد الحمزاوي
علم للرموز/علم العلامات/ السميوتية	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث (عربي، إنجليزي/إنجليزي، عربي)	نخبة من الباحثين
السمياء	معجم المصطلحات (خاص بالألسنية)	معهد الإنماء الغربي "ليبيا"

نخبة من الأساتذة العرب	قاموس المصطلحات التحليل السيميائية	السيميائية
------------------------	------------------------------------	------------

إنّ المتأمل في ترجمة المصطلح "السيميائية" يجد اضطراباً وفوضى، وأن هذا سيحول دون بث الرسالة العلمية وتلقيها، ويقترح "رشيد بن مالك" خطوتين لترجمة المصطلح السيميائي:<sup>1</sup>

**الأولى:** حصر المصطلحية في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة.

**الثانية:** ترجمة ما استعصى نقله، وفق عمليات التوليد والاشتقاق والتعريب، وينبغي أن تدرج هذه الخطوة المنهجية ضمن مشروع علمي لا يملك قيمته الحقيقية إلا إذا تحول إلى موضوع تحرر جماعي.

### تطبيقات السيميولوجيا في النص الأدبي العربي:

#### 1. تجربة عبد المالك مرتاض:

**الدراسة الأولى:** دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لـ "محمد العيد آل خليفة"، يحدد "مرتاض" في كتابه المنهج الذي اعتمده في تحليل القصيدة فيقول: "اضطررنا إلى تناول هذا النص وهو "أين ليلاي؟"، ويقع في ثلاثة عشر وحدة من تفكيك المدلول، ومن حيث البناء اللغوي، ومن حيث الحيز الشعري، ومن حيث الزمن الشعري، ثم حيث التركيب الإيقاعي وخصائصه عبر هذا النص، فكان لا مناص من تناول كل عنصر من هذه العناصر فصل مستقل بذاته".<sup>2</sup>

(1) رشيد بن مالك، ترسيمات سيميائية، مجلة كتابات معاصرة، العدد 39، أكتوبر\_نوفمبر 1999.2000، ص:45

(2) عبد المالك مرتاض أ.ي، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي؟، لـ محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدزائر، 1992، ص:7

والمتمصفح لهذا الكتاب يجد الباحث درس الموضوع دراسة مستويائية، حيث درس مستوى اللغة والمستوى التفكيكي، والحيز (الحيز المكاني)، ومستوى الحيز الزماني ثم المستوى الإيقاعي، ونجده قد ركز على الدال والمدلول أي الشكل والمضمون، والملاحظ كذلك أن "مرتاض" وأثناء تحليله نجده قد ابتعد كلية عن الظروف الظروف والملازمات الخارجية التي تسهم في كل الأحوال في نشأة الخطاب، فقد تعامل معه وفق مبادئ التحليل السيميائي (المحاثة، التحليل البنيوي، تحليل الخطاب)، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على وعيه بالنقد الحديث.

**الدراسة الثانية:** بنية الخطاب، دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية".

اعتمد المنهج السيميائي في دراسته، وقد بين ذلك حينها قال: "إن مسعانا هذا يندرج كما سنرى ضمن هذا المفهوم الجديد نفسه للتعامل مع الإبداع، أي لن يكون مسعانا في هذا الكتاب، إلا من أجل ترسيخ مفهوم القراءة بالمفهوم السيميائي لهذه القراءة التي أثرناها أن تمتد على خمس مستويات".<sup>1</sup>

وفي قراءة لمنهجه، يرى الباحث "مولاي علي بوخاتم" أن دراسة "مرتاض" كانت مستويائية، وكان قد أبان عنها مسبقا في بعض ممارساته النقدية مجتهدا في رصدها:

**المستوى الأول:** ويجسد قراءة تشاكلية انتقائية.

**المستوى الثاني:** يجسد مقارنة تشاكلية تحت زاوية الاحتياز.

**المستوى الثالث:** ينصب على المقاربة الحيازية.

**المستوى الرابع:** يمثل قراءة جديدة في الحيز.

**المستوى الخامس:** يقرأ النص من زوايا الأيقونة، الإشارة، القرينة والرمز.

(1) عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص:18

والظاهر أنّ أثر "غريماس" بين القسمات في تحليل "مرتاض"، وخاصة المستوى الأول والثاني، إذ اعتمد على ثنائية ناد بها "غريماس" في تحليله الخطاب السردي وهي (التباين والتشاكل)، وتناول الباحث المستوى الخامس بإجراءات حديثة وخاصة حينما وظف المصطلحات (الأيقونة، القرينة، الرمز، الإشارة)، التي كان لها حضورا قويا في نظريات "بيرس" و"دي سوسير".

## 2. عبد القادر فيدوح: دلالية النص الأدبي (دراسة في نونية بكر بن حماد):

في عمل "عبد القادر فيدوح" نلاحظ أنه لم يلتزم بإجراءات محددة، تعتمد على مدرسة معينة، بل راح يفتش عن دلالات النص، فجدده يسعى إلى تحطيم الجدارية المعيارية الثابتة، والنزوع إلى تفكيك النص وتشريحه، وفق أدوات إجرائية تستند إلى رصيد معرفي، وخبرات قرائية متنوعة ضمن مناخ استفهامي تساؤلي يرفض منطق الجواب، ويؤيد عبث السؤال تبعا لمشروع حر يعتمد على الاستنباط والاستدلال والاستقراء.<sup>1</sup>

وتأتي قراءة "فيدوح" لمقاربة نص قديم في ضوء أساليب وأدوات حديثة، وتستند إلى رصيد معرفي وخبرات قرآنية متنوعة، دون الانطلاق من مفهومات مسبقة، لأنّ السيميائية تسعى دائما إلى فك رموز الخطاب، دون أن يعني ذلك إحالة إلى كومة شفرات وقرائن لا عمق دلالي وراءها، وقد حاول أن يقف على مستويات مختلفة، صوتية وتركيبية ودلالية، والملاحظ في التحليل أنه تناول المستويات جملة واحدة ولم يتناولها تفصيلا، فاكتمى بالسلمات الطاغية على هذه النصوص.

ولم تغب ثنائية التقابل والتشاكل في تحليله، على مستوى الألفاظ والجمل، والغاية رصد مجمل العلاقات التضادية والتنافرية، فتناول تشاكل الألفاظ وتشاكل الجمل، ثم تقابل الألفاظ وتقابل الجمل، واهتم بالوزن والإيقاع الخارجي والداخلي والتماثل الإيقاعي وأبعاده الجمالية والدلالية.

(1) ينظر عبد القادر فيدوح، ضمير الشعر الجزائري والسؤال التأويلي، ص: 55.



3. "عبد الحميد بورايو" القراءة السيميائية لحكايات كليلة ودمنة (الحمامة المطوقة):

إنّ النّمودج الغريماسي في هذه القراءة بيّن القسّمات، حيث اعتمد على السردية في التحليل، والتي تجعل من الخطاب منطلق الدراسة،<sup>1</sup> لذا يغلب على طابع هذه الدراسة البنيات الخطائية كالحقل المعجمي، والمقطوعات الخطائية، والتجسيّدات الخطائية.

### الحقل المعجمي:

يضع "بورايو" جداول يصنّف فيها المفردات الأساسية للحكاية من أجل إبراز دلالاتها، وانتقاؤه للمفردات يكون على أساس تشابهها واختلافها (نظرية التشاكل Istopie عند غريماس)، ثم يقوم بالإحصاء ليحدد الحقول المعجمية حتى تسهل عملية الفهم تأويل شفرات النص، ثم يصنّف الحقول الموجودة في النص إلى صنفين:

— الحقول المعجمية التي تتعلق بما يسهم في بيان الأطراف المشاركة في الفعل القصصي (الفواعل والممثلون).

— حقول تتعلق بحركية القصة ونمو الفعل وموضوعات القيمة، ثم يحاول ربط هذه الحقول بعضها البعض.

### تقطيع النص:

بغية تحديد المقاطع السردية، ينتقل "بورايو" إلى عملية تقطيع النص على أسس

ثلاث:

— الاستغلال النسبي للأحداث.

— الانتقالات المكانية.

— تغيير الشخصوس المشاركة في الفعل القصصي.

(<sup>1</sup>) ينظر: عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردية، دراسة لحكايات من ألف ليلة وكليلة ودمنة، منشورات مخبر عادات وتقاليد دار الغرب، ص: 203.

ثم ينتقل إلى التحليل السردي الخطابي أين يحدد فيه المتواليات السردية (البرنامج السردى)، وفي القصة حدد ثلاث متواليات:

**الأولى:** ويحدّد فيها الوصلات (الذات، موضوع القيمة، الحالة، طبيعة الموضوع).

الصيد = الذات ، موضوع القيمة = الخبرة والحداء ، طبيعة الموضوع (ماهو ظاهر توفير الغذاء وما هو كائن القبض على الحمام) ، والحالة الوصل (A) ، فالمعرفة والقدرة والإرادة تمثل عنصر الكفاءة الذي يمكّن الذات المنفّذة (الصيد) من تنفيذ البرنامج.

**الثانية:**

الحمامة (الذات)، موضوع القيمة (الحكمة)، والحالة الوصل (A) ، طبيعة الموضوع (العمل من أجل الهروب)، وشكلت كفاءة الحمامة جزءا من البرنامج السردى.

**الثالثة:** نميز برنامجين سرديين: الأول ويشترك فيه فاعل الفعل (الحمامة)، الذات المنفّذة

(باقي الحمام)، موضوع القيمة (الايصال بالعمران). والثاني يقوم على العناصر التالية:

ذات فعل الفعل (الحمامة المطوقة)، ذات المنفّذة (الجرذ)، موضوع القيمة (فك

الشباك)، والبرنامجين السرديين يحققان برنامجا يقوم على العناصر التالية: ذات الفعل (الجرذ)،

ذات الحالة (الحمام)، موضوع القيمة (التحرر من الأسر).

وتتكون الخطاطة السردية من:

الكفاءة (القدرة)

التحريك (المحفز)

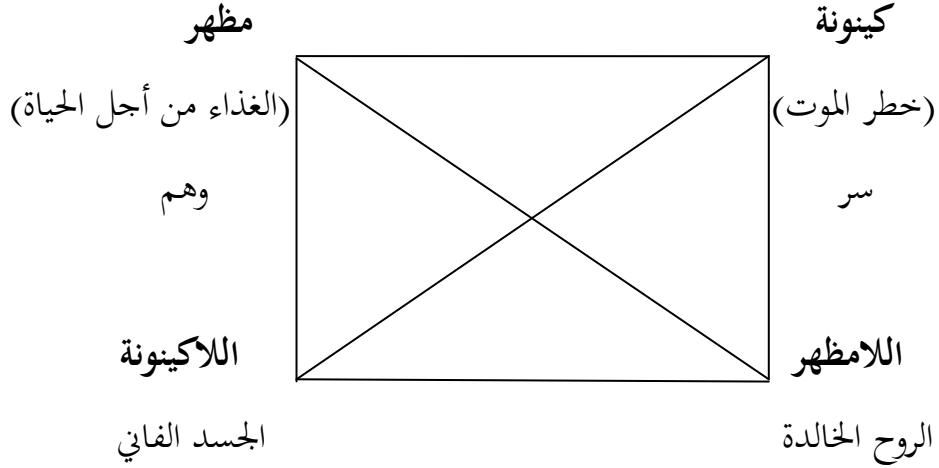
التقويم \_الصيد (الصفات) الحمامة (الصفات، المكانة الرفيعة)، الأداء (فعل الصيد

الذي باء بالفشل)، فعل الفاعل (الحمامة، وانتهى بالنجاح).

**البنية العميقة:**

بعد عملية التحليل يتوصل الباحث للبنية العميقة، ويضع شكلا والمتمثل في المربع

السيمائي (البنية الدلالية).



ويرجع الباحث العلاقات الدلالية النصية المدروسة لمفهوم فلسفي كان سائدا أيام روايتها والمتمثل في ثنائية الروح والجسد، حيث يتصل الأول بالقيم الايجابية في حين يرتبط الثاني بالقيم السلبية.<sup>1</sup>

### "بسام موسى قاطوس" "سيمياء العنوان":

يرى "بسام موسى" أن العنوان في المنجز الشعري أكثر رمزية ومراوغة منها في المتخيل السردى، وفي كل الأحوال فإنّ العنوان في المنجزين غالبا ما تنتهك اللغة العادية التي هدفها التوصل إلى اللغة المنزاحة، وبعد فصل نظيري خصّص "بسام" فصلين للدراسة التطبيقية، الثاني في المنجز الشعري والثالث في المنجز السردى.<sup>2</sup>

وقدّم الباحث جملة من الملاحظات حول العنوان:

— العنوان أنظمة سيميائية تحمل قيم اجتماعية وأخلاقية وسياسية، وتؤدي وظيفة فنية، جمالية وعصرية.

— يميز في العنوان مستويين: السطحي المتمثل في كمية الإعلام التي بيّتها، والعميق مبني على التناس.

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو، التحليل السيميائي للخطاب السردى، ص: 82

<sup>2</sup> ينظر: بسام موسى قاطوس، سيميياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، (ط1)، 2001، ص: 166

\_\_ يمكن للعنونة أن تستوعب النص وقد تتجاوزه في كثير من الأحيان أو تتناص معه، أو توظفه بطريقة فنية رامزة وموحية ومراوغة.

\_\_ يحتاج القارئ لفهم العنوان، فهم النص أو العطف فالعلاقة بينهما جدلية.

\_\_ وظائف العنونة غير قارة.

واختار الباحث نماذج أو عينات لدراسة شملت شعراء وروائيين عربا من المشرق والمغرب، ومن نماذجه نذكر عنوان "ذاكرة الجسد" للكاتبة الجزائرية "أحلام مستغانمي"، فهو يرى أنّ عنوان الرواية مكتنز بدلالات تفتق طاقات هائلة من الشعر، فالذاكرة نقيض النسيان حافظة وواعية على كل شيء.<sup>1</sup>

هذه أول علامات شعرية العنوان ما تحدّثه من انزياح أسلوب، قافزة أو مشكلة وثبة باتجاه الشعر.<sup>2</sup> فالذاكرة تتحول إلى علامة سيميائية تختزن: الحزن، الوجد، الظلم، الطفولة المبتورة والمحرومة والشهداء والصالحين، وسيميائها اليد المقطوعة وإعلان الصمت أذانه للصوت.

**مجمل القول:** تبّى العديد من النقاد العرب مناهج نقدية حديثة بصفة عامة، والنظرية السيميائية بصفة خاصة، وإنّ المتتبع لخطواتهم سيكتشف أنّها تقارب الخطوات التي ظهرت وقطعتها في الغرب، وهذا لا يعني أنّها صورة طبق الأصل منها، بل أعيد إنتاجها من جديد بأساليب مختلفة، وحاول البعض مراعاة خصوصية الأدب العربي (عبد المالك مرتاض، محمد مفتاح) وإنّ ملامح التأثير بادية في أعمالهم، وأهمّ الرواد الغربيين الذين لهم أثر في النقد السيميائي "غريماس"، "كورتاس"، "جون كلود كوكي" وكذلك "جوليا كريستيفا" و"رولان بارت" و"تودوروف"، كما ظهرت تجارب أخرى في نفس الميدان تمثلت في نقل المصطلح وترجمته، وخير من مثل هذه التجربة "رشيد بن مالك" و"عبد السلام المسدي"

<sup>(1)</sup> المرجع السابق، ص: 126

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص: 127

وغيرهم، وكذلك تجربة "سعيد بنكراد" في ترجمة مؤلفات مثل السيمائيات و"التأويل بين السيمائيات والتفكيكية" لـ"إمبرتو إيكو".